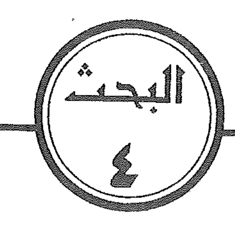


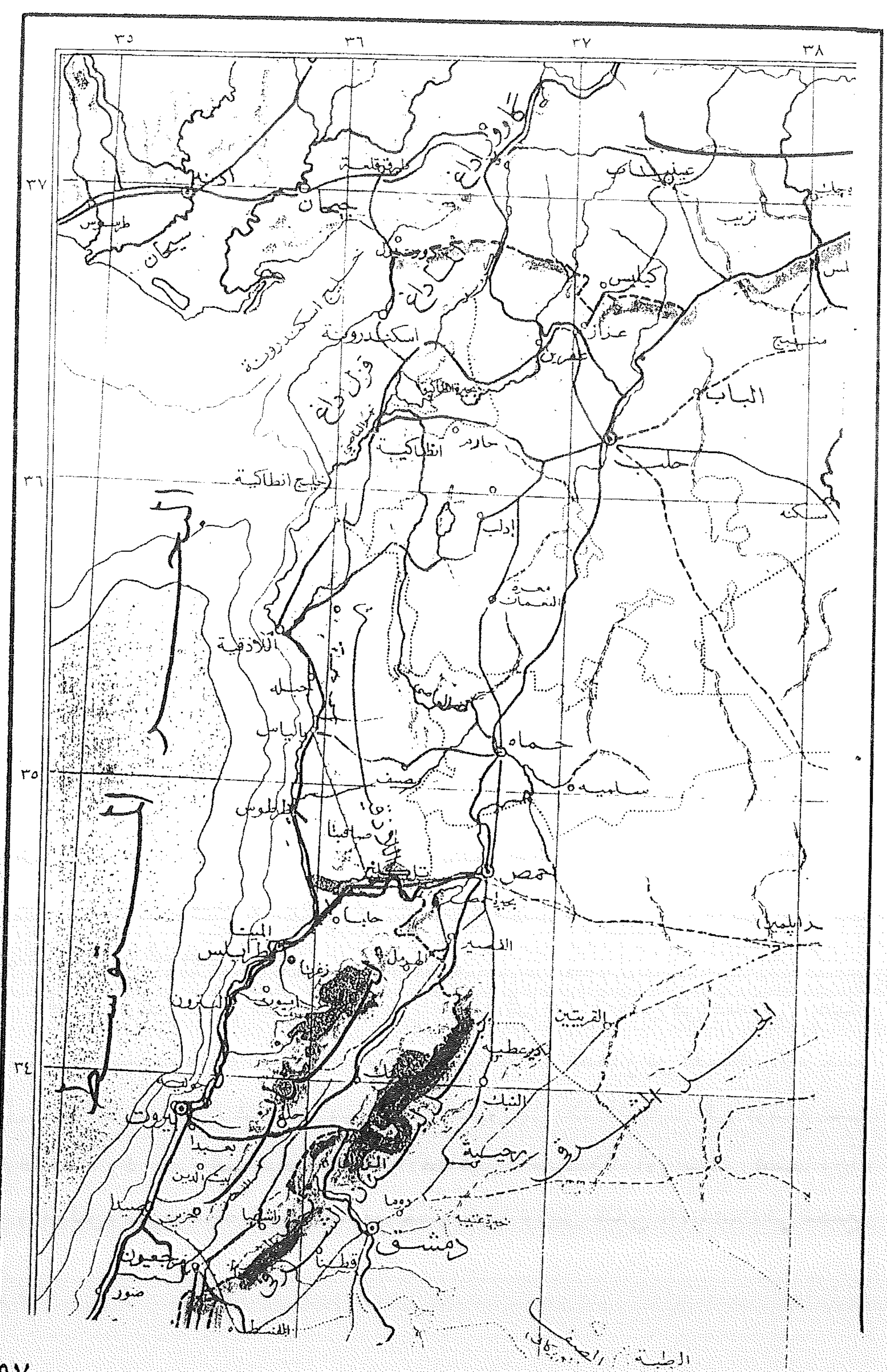
بيروت تحت وطأة المواجهات الصليبية الإسلامية

١٠٩٧م - ١٢٩١م

٤٩٠ هـ - ٦٩٠ هـ

إعداد

د / نزيه شحاده



٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٧
٣٦
٣٥
٣٤
حلب
حماه
حمص
دمشق
اللاذقية
انطاكية
اسكندرونة
ادلب
الباب
سلميه
طرابلس
النبك
القريتين
قطنا
صور

بيروت ، مدينة قديمة جميلة تجارية من أهم مدن سورية واقعة على شاطئ بحر الروم ـ الشاطئ الشامي ـ وهي مدينة فينيقية ورد ذكرها منذ عهد متقدم . أي منذ عهد لوحات تل العمارنة وهو أقدم أثر ظهرت فيه . وهو كتابه هيروغليفية منقوشة على ألواح من الآجر المشوي يحتفظ بها المتحف البريطاني . (١) . قال الحميري : بيروت من سواحل دمشق ومرابط أهل دمشق بيروت ، وهي مدينة على شاطئ البحر . (٢)ويقول ابن خلكان : بيروت بليدة بساحل الشام (٣) وقال غيرهم: بيروت مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، ولم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال وأسر بال ، حتى نزل عليها بغدوين الإفرنجي (٤) وتكتب بيرت BEIRUT، وبيروت BEYROUTH . وينطق بها بروت BERUT . يروي ابن شداد أنها على وزن فيعول من البرت أي الرجل الدليل (٥) .

ويضيف وليم الصوري :" تقع بيروت على ساحل فينيقيا بين جبيل وصيدا . ويعتقد أن الاسم الأول لهذه المدينة كان غرسي نسبة إلى مؤسسها غرسيوم المخترم الابن الخامس لكنعان "(٦) ويضيف بعضهم :"إنها من البئر ويجمع بئروت أي الآبار "(٧) . وثمة رأي يشير إلى أنها بمعنى بروتا وهي بالآرمية تعني السرو أو الصنوبر . وهو أقرب الآراء إلى الصحة(٨)

حدود بيروت:

يحدها نهر الكلب من الشمال ، حيث يفصلها عنه إمارة طرابلس . ومن الجنوب تمتد حتى نهر الدامور الذي يفصلها عن ولاية صيدا . ومن الشرق التلال المشرفة على سفوح سلسلة جبال الغربية . ويحتضنها البحر المتوسط من الغرب .

كيف بدأت الحروب الصليبية ؟

بدأت في أواخر القرن الحادي عشر حركة الحج إلى بيت المقدس في فلسطين ، حيث هيأت للحروب الصليبية مناخا" ملائما". وأسهمت حركة هؤلاء الحجاج في تعاظم الأمزجة والميول الدينية الزهدية. وعرفت الأوروبيين على الطرق إلى بلاد الشرق وعلى الوضع في البلدان الشرقية. والرئيسي أنها هيجت تعطش الإقطاعيين لإمتلاك الأراضي فيما وراء البحار.(٩) وفكرة الحروب الصليبية نبعت من خطبة البابا أوربان الثاني URBAN II في مجمع

كليرموتCLERMONT عام ١٠٩٥ م فصاح الحضور صيحة رجل واحد . مردديـــن شـــعار DIEU LE VOLT. DIEU LE VEUT.الله يريد ذلك.

وبحماس متقطع النظير أطاعه إلى ذلك قوم لا يحصى لهم عدد من بلاد فرنسا، ومن النمســا وغيرها من عال ودون . (١٠) وعلقوا على الكتف الأيمن أو الكتفين صليبا" من قماش أحمر. وجعلوا هذه العلامة على الأسلحة والألوية والرايات والبنود ، ومنـــذ ذلـــك الوقـــت ســـموا بالصليبيين ، ودعيت حروبهم بالحروب الصليبية. (١١) والتي أراد البابا من خلالها أن يتـــوج نفسه زعيما" فوق زعامة ملوك أوروبا . وجاءت صيحة الجماهير إيذانا" لبداية صفحة جديـــدة في تاريخ الحركة الصليبية قدر لها أن تستمر عدة قرون . (١٢)

والتقت مصلحة البابوية والإقطاع . زد على ذلك أن معظم شعوب أوروبا كان يتخبط تحـــت وطأة الفقر والظلم .إضافة إلى مصالح تجارية لعدد من المدن الإيطالية. ولعل أبرز الأســـباب استغاثة الامبراطورية البيزنطية التي كانت تئن تحت وطأة ضربات السلاجقة المتتابعة .

وقد لبست هذه الحملات منذ نشأتها جلباب الدين ، وشارة الصليـــب شـــحذا" للـــهمم واستثارة للعواطف . ونجحت في ذلك إلى أبعد مدى تحت ذلك الشـــعار . وتـــألفت الحملـــة الشعبية بقيادة بطرس الناسك PETER THE HERMIT . حيث لم يكتب لها النجاح .

وجاءت بعدها الحملة الصليبية المنظمة والتي عرفت بالحملة الأولـــى ، والتـــي تـــم إعدادها بصورة أكثر جدية من الحملة الشعبية . وكانت تتكون من أربعـــة جيـــوش . تولـــى بوهمند وتانكرد TANERED . قيادة الفرقة النورمانية ، وكانت القوات البروفنسالية تحت قيـــادة ريموند الرابع RAYMOND Ivكونت تولوز . والقوات الفرنسية بقيادة هيـــو HUGH كونـــت فرناند ديوس ، وروبرت الثاني ان فلاندزر ROBERT COUNT OF FLANDERS أمـــا الأخـــيرة وهي قوات إقليم اللورين فكانت تحت قيادة جودفرى GODFREY . واتخـــذت هـــذه الجيـــوش الأربعة طرقا" مختلفة . ولكنها اتفقت جميعها على الالتقاء عند أسوار القسطنطينية (١٣).

واجتازت الحملة الصليبية الأولى أراضي الإمبراطورية البيزنطيـــة ، وأقـــامت إمـــارة الرها، ووصلت إلى أراضى إنطاكية ، بوابة سوريا الشمالية ، حيث كانت بلاد الشام تتنازعها صراعات داخلية شتى بين السلاجقة أنفسهم من جهة. وبين الفاطميين حكام مصر من جهـــة أخرى. مما أضعف حالة الاستعداد الإسلامية لدرء خطر الفرنجة، وأمات رغبة الجهاد عنـــد الناس. وسهل نزولهم في بلاد الشام واقتراف المجازر وترحيل السكان . أما الفاطميون فقـــد ابتهجوا للضربات التي كان الفرنجة يكيلونها لأتباع السلاجقة. ثم حاولوا أن يمنعوا الصليبييـــن من بلوغ فلسطين وهي من أملاكهم . (١٤)

لأنه سبق واجتمعت رسل الأفضل الوزير الفاطمي مع الصليبيين أمام إنطاكية أثناء حصـــارهم لها في أوائل عام ١٠٩٨ . وعرضوا التعاون في القضاء على السلاجقة بحيث يكون القســـم

الشمالي ــ سوريا للصليبيين ــ والقسم الجنوبي فلسطين للفاطميين. يروي وليم الصوري : أن خليفة مصر وهو الحاكم الأقوى بين جميع الحكام المسلمين بسبب ثرواته وقواته العسكرية ، أرسل سفراءه إلى قادتنا ... وكان صاحب مصر قد استولى في هذه الآونة على البلاد الممتدة من أرض مصر وحتى اللاذقية السورية . وكان المندوبون وهم عناصر من أفراد أسرته ، مفوضين في طمأنة المسيحيين أن السلطان ــ الخليفة ــ سيساعدهم بالدعم العسكري والموارد وأوصى هؤلاء المندوبين بالسعي لكسب مودة القادة وحبهم وان يعقدوا معاهدة للصداقة معهم (١٥) .

إلا ان هذه المفاوضات التي جرت على مقربة من إنطاكية، لم تصل إلى نتيجة لأن شروط الدولة الفاطمية لم ترض القادة الصليبيين ، لأن أهدافهم الأساسية الكامنة في النفوس الإستيلاء علي بيت المقدس. لكن الصليبيين عرفوا كيف يستغلون هذه المفاوضات بحنكة من قادتهم باستغلال عامل الوقت للوصول إلى القدس. غير عابئين بحكام المسلمين في مصر والشام ، حيث لعب البارونات دورا" مهما" على التناقضات بين السلاجقة في الشام والفاطميين في مصر، وأرسلوا سفارة إلى الخليفة الفاطمي في القاهرة ، هدفها الأساسي إطالة أمد المفاوضات وكسب ما يمكن كسبه لبلوغ أهدافهم . وحققوا في هذه الأثناء نصرا" ساحقا" على إنطاكية حيث يصور ابن العديم ذلك المشهد فيقول : إنه في عام ٤٩١ هـ . كان استشهاد ما يفوت الإحصاء ويجاوز العدد من المسلمين ونهبت الأموال والسلاح وسبي من كان بإنطاكية . (١٦) في التاسع والعشرين من شهر يوليو يونيو ١٠٩٨ م وقيل في ٣ منه .

وإلى جانب إمارة الرها الصليبية قامت إمارة جديدة هي إمارة إنطاكية . التي يفصلها عن بيت المقدس رقعة أرض طويلة الامتداد يحكمها أمراء مسلمون . فالساحل الممتد مباشرة إلى بيت المقدس تقع عليه أربعة موانئ بحرية وافرة الثروة ، وهي عكا ، وصور، وصيدا ، وبيروت . وكل منها دانت بالولاء لخلافة مصر الفاطمية . غير أن هذا الولاء كان يقوى ويضعف كلما كان الأسطول المصري قريبا" أو بعيدا" عنها. (١٧) وبحلول العام ١٠٩٨ م كانت حدود الدولة الفاطمية قد امتدت إلى نهر الكلب شمالا" ومجرى نهر الأردن شرقا" (١٨).

وأما بالنسبة لمدينة طرابلس ، وهي الجناح الشمالي الذي يحمي بيروت . فكانت آنئذ تحت حكم أسرة بني عمار الشيعية المذهب ، السلجوقية الولاء ، حسبما تقتضي مصالح الأسرة . وما إن وصل الجيش الصليبي إلى طرابلس " لاطفهم أميرها ابن عمار فأطلق من كان عنده من الأسرى وكانوا أكثر من مائتي أسير ، ومنح الصليبيين خمسة عشر ألف دينار وقدم لهم عددا" من الخيل الأصيلة وأمدهم بما يحتاجون إليه من مؤن وزاد ودواب وأرسل في معيتهم الأدلاء والمرشدين .(١٩) ومرت القوة الصليبية من طرابلس بعهد بين الطرفين متجهة صوب مدينة بيروت في ١٦ مايو ١٠٩٩ م ٤٩٣ هـ . يقودهم أدلاء عينهم جلال الملك

عمار (٢٠) . إضافة إلى المسيحيين الموارنة الذين رحبوا بالحجاج القادمين مدفوعين بجامعة الدين وليقدموا للصليبيين تهانيهم وليكيلوا لهم مديحهم وثناءهم بحب أخوي . واستدعى القادة الصليبيون هؤلاء الناس إليهم بسبب معرفتهم بسائر الأرياف المجاورة , وتشاوروا معهم كرجال متمرسين ، حول الطريق الأسلم والأسهل إلى القدس . ونصحوهم في النهاية أن يسلكوا الطريق الساحلي وأكثر هؤلاء من موارنة الجبة الشمالية والبترون ، والجبال القريبة . ولم يكتف المسيحيون باستقبالهم وهدايتهم للطريق ، بل كانوا يقدمون لهم الأزودة وكل ما يحتاجون إليه من المؤن لجامعة الدين بين الفريقين . حتى كان الحبس يخرجون من محابسهم في الجبل ويأتون إليهم داعين الله أن يتيح التوفيق لهم . ثم سارت فرقة في مقدمة الجيش الصليبي لإرشادهم ومعهم وفد من المردة من بلدة عرقا ، ساروا معهم حتى بلغوا القدس . وكانوا ينجدونهم في الوقائع ويمدونهم بالميرة (٢١) . ويؤكد ذلك الأب الدويهي بقوله " ونزل عندهم ناس كثيرون بهدايا من نصارى لبنان وجبل سير يتأهلوا بقدومهم ، وكانوا من أهل الذكاء والفراس."(٢٢)

وبفعل توجيهات الأدلاء السليمة ، دلوا الصليبيين على مخاطر العبور عند نهر الكلب . وأخبروهم أن ليس بالممر جماعات معادية من المسلمين ، لا سلجوقية ، ولا بيروتية ، ولا فاطمية . فعبروا منه بسلام . ودخلوا حرم أراضي بيروت التي كانت تابعة للخلافة الفاطمية . لا كما يذكر البعض ، إن بيروت يومها كانت تحت حكم الدولة السلجوقية يأمر فيها أحد الأمراء التنوخيين باسم ظهير الدين طفتكين صاحب دمشق . و كانت في عهدة شجاع الدولة أبي الغارات عمر المتوفى سنة ٤٨١ هـ. والذي خلفه ابنه في الإمارة على الجبل وبيروت الأمير عضد الدولة علي . (٢٣)

ويظهر أن أمير بيروت في هذه الأثناء كان يدعى أتمار المرداسي ــ الذي ترك أمارة حلب بسبب مضايقات بني كلاب له ، وأطماع القوى المجاورة السنية . وآثر التنازل عن حلب طواعية للخلافة الفاطمية ، فمنحه الخليفة الفاطمي المستنصر ٤٢٧ــ ٤٨٧ هـ. /١٠٣٥ ــ ١٠٩٤ م مدينة بيروت وعكا وجبيل عوضا" عنها .(٢٤) يؤكد ذلك ما ذكره البعض ان بيروت كانت خاضعة للدولة الفاطمية قبل وصول الحملة الصليبية الأولى ، ويدلل على ذلك انهم بسطوا سلطانهم على الساحل ، وأرسلوا نجدة للمدينة عندما حاصرها الصليبيون في عام ١١١٠ م/ ٥٠٣ ه . (٢٥). ويضيف آخر أنه لم يحل خريف ٤٩١ هـ. / ١٠٩٨ م. إلا وكان الأفضل قد أمن حدود الخلافة الفاطمية في بلاد الشام حتى مجرى نهر الكلب على الساحل شمالي مدينة بيروت وحتى أرباض اللاذقية ، بالإضافة إلى سيطرته الأسمية على مدينة طرابلس (٢٦) وما يعنينا انه لما وصل الصليبيون إلى ضاحية بيروت قام أهل المدينة بالإغارة علي الجيش القادم وحققوا إنتصارات عدة ، ولكن هذا النصر لم يمنع من تسرب الخوف إلى

نفوسهم لأن الخلافة الفاطمية لم يكن لها قوات في ممتلكاتها الشمالية ومنها بيروت ، عدا حاميات المدن الساحلية (٢٧).

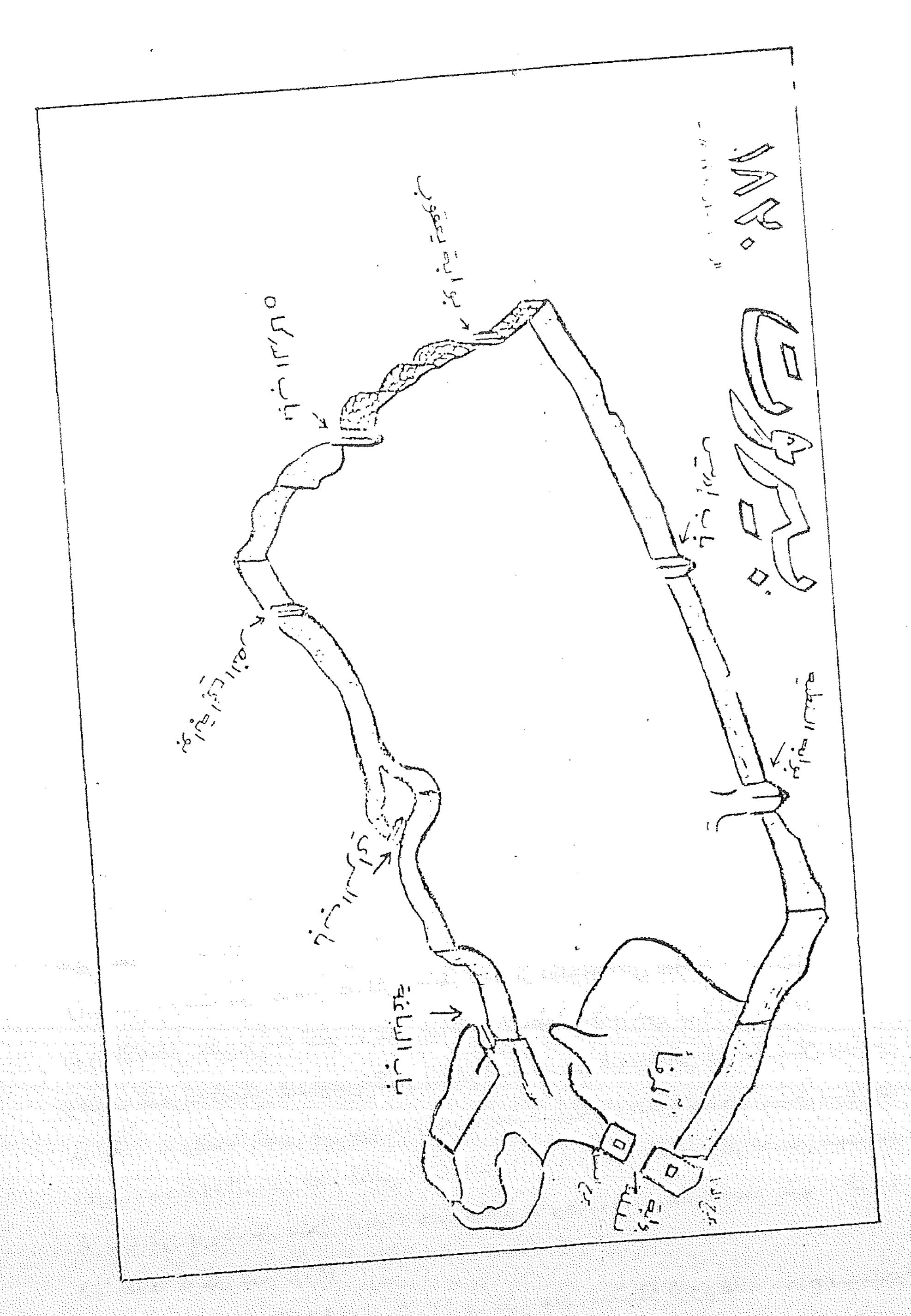
وعسكر المسيحيون أمام المدينة ــ خارج الأسوار ، على ضفة نهر يجري بمحاذاتها ــ نهر بيروت ــ وعرض حاكم المدينة عليهم المال وكميات كبيرة من المؤن ليقنعهم بالإبقاء على المحاصيل والأشجار ، واستراحوا هناك لمدة ليلة واحدة .(٢٨) .

وكانت مصلحة الطرفين تدعو إلى الاتفاق على وجه السرعة . لأن مصلحة كل منهما تقتضي إبرام الصلح . فمصلحة الصليبيين أن لا ينشغلوا بحصار المدن قبل متابعة الزحف للوصول إلى بيت المقدس بعد أن أعياهم التعب لطول المسافة التي قطعوها ، وضراوة القتال الذي واجههم .وكان من مصلحة أهل بيروت الحفاظ على سلامة مدينتهم ، وسلامة ممتلكاتهم ، بعدما شاهدوا ضراوة القطعان الإفرنجية وجشعها (٢٩) إضافة لعدم وصول إمدادات من مصر أو من دمشق. وبشيء من التفصيل يورد البعض : "سارع أهل بيروت بإرسال هدايا ومنتوجات زراعية ، وبراميل مياه شرب ، وبعثوا بالرسل عارضين على الصليبيين حرية العبور بلا عوائق .ورسمت الإتفاقية بين الطرفين ، ومن أبرز مضامينها تقديم إمدادات تموين ومبالغ كبيرة من المال شرط ألا ينزلوا الضرر بالأشجار المثمرة والكروم والغلال المملوكة للعرب ، وتنص الاتفاقية على تعهد أهل بيروت ان يكونوا تحت طاعة الصليبيين وتابعين لهم إذا إستطاعوا أن يحتلوا بيت المقدس (٣٠)

والتزم أهل بيروت بما عاهدوا عليه ، وتمت موافقة الصليبيين ، وتقدم الأدلاء من أهلها مع القوات الصليبية وأرشدوا الجيش في الطريق إلى صيدا (٣١) مرورا" بخلدة والدامور وتابعت الحملة سيرها جنوبا" حيث تم سقوط بيت المقدس.

وفي العام ٤٩٤ هـ. سار كند فرى ــ غود فرى ــ ملك الفرنج بالشام ، وهو صاحب البيت المقدس إلى مدينة عكة ــ عكا ــ بساحل الشام ، فحصرها ، فأصابه سهم فقتله، فلما قتل كند فرى تلقى أخوه بغدوين أمير الرها ،رسالة في أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر سنة ١١٠٠ م. بعث بها أنصاره في بيت المقدس يخبرونه فيها بما كان من موت أخيه ويطلبون منه الحضور على جناح السرعة ، لتسلم مقاليد الأمور في المدينة المقدسة فغادر الرها نحو المدينة المقدسة في ٢ أكتوبر سنة ١١٠٠ في خمسمائة فارس وراجل إلى البيت المقدس. فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره ، فنهض إليه في عسكره ، ومعه الأمير جناح الدولة في جموعه ، فقاتله ، فنصر على الفرنج .(٣٢)

وكان ذلك عند حدود نهر الكلب ، الحد الشمالي لبيروت ، وهو المكان الضيق بين الجبال والبحر .



سور بيروت وأبوابها (رسم عماد خلاق)

والـلافت أن المؤرخ ابن الأثير ، لم يقدم معلومات وافية عن الأحداث التي رافقــت عبـور بغدوين لمدينة بيروت ،بعد النصر الذي حققه المسلمون عليه في اليوم الأول . في حين يذكـر وليم الصوري انه عند مرور بلدوين شقيق جودفرى عند المنطقة ما بيـن بـيروت وجبيـل واجهته صعوبات عديدة وذلك بسبب طبوغرافيتها ، فقد نجا بصعوبة عندها ، وكذلك معاناتـه من العطش والحرارة الشديدة ، وواصل زحفه من طرابلس مرورا" بجبيل ووصل إلى نــهر الكلب ، ويوجد هنا ممر خطر جدا" بين بحر عاصف وجبال شاهقة تجعـل الطريـق بيـن الصخور الوعرة والمرتقى الشديد الانحدار غير سالكة تقريبا" (٣٣).

ويتناول رنسيمان الموضوع بشكل أكثر تفصيلا" " فيقول": بعد وفاة جودفرى توجــه أخوه بلدوين من الرها في ٢ اكتوبر ١١٠٠ (ذي الحجة ٤٩٣هـــ. إلـى بيـت المقـدس وبوصوله إلى طرابلس ، كانت العلاقات بين أمير طرابلس الجديد فخر الملك . ودقاق أمـير دمشق ، بلغت منتهاها من السوء نظرا" لأن دقاقا" حاول أن يمد سلطانه ونفوذه حتى السـاحل اللبناني ــ ومنها بيروت ــ ولذا أعلن فخر الملك عن ارتياحه وسروره ، لا فحسـب بـامداد بلدوين بالمؤن التي يحتاجها بل أيضا" بالمعلومات عن تحركات دقاق وخططه , وحينما يقترب من بيروت الطريق الساحل القادم من طرابلس عند إجتياز نهر الكلب ، ويسير علـى امتـداد حافة ضيقة بين الجبل والبر.. وفي هذا الموضع ترقب الدماشقة قدوم بلدوين ، وإذا أنذره أمير طرابلس ، ــ أبو علي بن عمار ــ تقدم بلدوين في حذر شديد ، فالقى نفسه يواجه جيش دقاق بأكمله ، وجيش أمير حمص معا" ، على حين أن أسطولا" بحريا" عربيا" من بيروت ، كـان يقف تجاه الساحل مستعدا" لاعتراض الطريق عند ارتداده . وفشلت محاولة بلدوين لاجتيـاز النهر نظرا" لما صادفه من القوات الضخمة المتفوقة ، وحمد الله حينما هبط الليل ، وتيسر لـه الانسحاب ، وحث أمير حمص عساكر دمشق على أن يهاجموه في الظلام ، غير أن قادة دقاق آثروا الانتظار حتى بزوغ الفجر ، حتى يستطيع الأسطول الإسلامي أن يتعاون معهم .(٣٤) وانتهت المعركة لصالح الصليبيين الذين استأنفوا سيرهم في اليوم التالي إلى مكـان يسـمى جونية... ثم واصلوا السير إلى بيروت وخيموا أمام المدينة ، واتبعوا الساحل مـن بـيروت وعبروا صيدا (٣٥). وفي العام التالي ٤٩٥ هـ. ١١٠١ م/ سار القمص الفرنجـي صـاحب الرها ، إلى بيروت من ساحل الشام ، حيث حاصرها وضايقها ، وأطال المقام عليها ، فلم يـر فيها طمعا" فرحل عنها .(٣٦)

وما أن جاء عام ٤٩٦هـــ. ١١٠٢ م. حتى هاجم سلاجقة الروم قافلة حجاج مسـيحية قادمة لبيت المقدس ، لقضاء عيد الفصح مما دفع بلدوين للتوجه إلى مدينـة بـيروت بقصـد حماية الحجاج الذين نجوا من السلاجقة. وعسكر حولها لمدة ثمانية عشر يوما" . ولكن بسـبب

تعزيز الحامية الإسلامية لمدينة عسقلان ـــ في فلسطين ـــ اضطر بلدوين ترك مدينة بيروت وأسرع لإنقاذ مدينة الرملة(٣٧).

وبوجوده في بيروت استطاع أن ينقذ بأمان ما تبقى من الحجيج ورافقهم إلى القدس وعيدوا عيد القيامة(٣٨). وبحصار بلدوين لبيروت يكون قد نقض بنود المعاهدة مع صاحبها نهائيا" . وقد يكون ذلك من ضمن أهدافه وخططه لعلمه ان لا استقرار ولا بقاء لمملكة بيت المقدس دون تأمين حدودها البحرية و البرية ، عبر احتلال مدن الساحل السوري كلها للتواصل مع أوروبا . وهذا ما أشار إليه المؤرخ فيليب حتي " وكانت أول مهمة مستعجلة شعرت المملكة اللاتينية بضرورة القيام بها فورا" الاستيلاء على المدن الساحلية لضمان حرية المواصلات مع أوروبة(٣٩) وفي هذه المرحلة عينت الدولة الفاطمية واليا" جديدا" لمدينة بيروت هو سعد الدولة المعروف بالطواشي .الذي تنبأ له المنجمون بأنه سيموت مترديا" ... فما كان منه إلا أن اقتلع البلاط المغروس* على أرض بيروت فقلعه خوفا" أن يزلق به فرسه او يعثر . فلم يمنعه الحذر عند نزول القدر. فلما أنفذه الأفضل أمير الجيوش بمصر إلى الشام لحرب الفرنج ، فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين ... وتصافوا واقتتلوا . فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا" . وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين (٤٠). ولما وصلت أنباء موت سعد الدولة الطواشي إلى مسامع الدولة الفاطمية، سارع الأفضل بإرسال ابنه شرف المعالي في جمع كثير ، فالتقوا هم والفرنج ـــ بقيادة بلدوين بيازوز ، بقرب الرملة ، وقضى على الفرقة التي كانت مع بلدوين ، حيث نجا هو من الموت بأعجوبة . وخاف القتل والأسر، ألقى نفسه في الحشيش ، واختفى فيه والتجأ إلى بلدة آرصوف (٤١).

وفي غضون عدة أيام وصلت في أواخر مايو ١١٠٢ م . نحو مائتي سفينة تحمل عددا" كبيرا" من الحجاج فضلا" عما طلبه بلدوين من نجدات من إنطاكية والرها (٤٢).

وانقلبت الموازين لمصلحة بلدوين بمساندة هذه القوات له ، واستطاع أن يحقق نصرا" على القوات الفاطمية التي فرت ناحية عسقلان ، فتخلص بلدوين بذلك من خطر كبير هدد الكيان الصليبي كله في فلسطين (٤٣).

وفي أوائل مارس ـــ آذار ١١٠٤ م. استعان ريموند الصنجيلي بالسفن التي قدمت من جنوى والتي ضمنت بوصولها السيادة على الشاطئ الشامي . ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على طرابلس ، فاتجهوا ناحية مدينة جبيل ، التي طلبت الأمان بعد الحصار الشديد . ولكن الصليبيين لم يكونوا أوفياء للعهد الذي قطعوه لأهلها ، وأخذوا أموالهم وأذاقوهم أنواع العذاب. وكافأ ريموند الجنوبيين بمنحهم ثلث المدينة ، حيث أصبحت جبيل فيما بعد مستعمرة جنوية تحت إشراف اسرة أمبرياتشي EMBRIACI (٤٤).

وفي سنة اثنتين وخمسماية ، حادي عشر ذي الحجة .ملك الفرنج مدينة طرابلس ، لأنهم ساروا إليها من كل جهة وحصروها في البر والبحر . وكانت في يد نـــواب خليفـــة مصـــر العلوي ، وأرسل إليها خليفة مصر أسطولا" فرده الهواء . ولم يقـــدر علـــى الوصـــول إلـــى طرابلس ليقضي الله أمرا" كان مفعولا" ، وملكوا بالسيف فقتلوا ونهبوا وســـبوا .(٤٥)ويذكـــر الذهبي:" انه سنة ثلاث وخمس مئة ، في ذي الحجة ، أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سبع سنين ، وكان المدد يأتيها من مصر في البحر(٤٦) ويذهب البعض إلى ان خيانة حصلت مـــن بحارة فخر الملك بن عمار أدت إلى هذه النتيجة(٤٧). وسقوط طرابلس أخيرا" في عام ١١٠٩ م في العاشر من شهر حزيران بيد الصليبيين لتكون الإمارة الرابعة في الإمارات الصليبية بعد الرها، وإنطاكية ، وبيت المقدس.

ويتناول ابن الفرات الأسباب التي دعت أهل طرابلس إلى التسليم ، انهم بينمـــا كـــانوا ينتظرون وصول النجدة بحرا" من مصر . جاءهم رسول منها على مركب يطلب منهم لأســـم الخليفة الفاطمي جارية جميلة كانت في طرابلس وخشب مشمش يطلع لعمل عود وغيره مـــن آلات الطرب .(٤٨)

وسقوط طرابلس أدى بأهل بيروت إلى الإحساس بالمرارة والإحباط واليـــأس عنـــد حصارهم . وصار لزاما" على برتراند ابن ريموند الصنجيلي كونت طرابلس أن يرد الجميـــل له يوم حصار طرابلس . وكان عليه أن يمد يد المساعدة في العام التـــالي للاســـتيلاء علـــى بيروت (٤٩).

وخلال شهر شباط من العام ١١١٠ م/٥٠٤ هـــ. / جمع الملـــك بلدويـــن الفرنســـي جيوشه ونازل بيروت وحاصرها مدة شهرين برا" وبحرا" . وكان في المدينة الأمير شـــجاع الدولة ـــ الوالي الفاطمي ـــ وأقاربه ، ولما تعذر على بلدوين فتحها ، استنجد بإفرنج السواحل وأمراء المردة فانجدوه . فنهض افرنج الشمال وتجمعوا مع المردة في جبيل ونـــهض إفرنـــج الجنوب وتجمعوا في مرج الغازية ـــ جنوبي صيدا ـــ ثم نهض الفريقـــان فـــي يـــوم واحـــد الشماليون على طريق الجرد والجنوبيون على طريق الساحل.(٥٠) وخطة سير الجيش القـــادم من الشمال ، ناجحة من الوجهة العسكرية ، لتفادي العبور عند مضيق نهر الكلب المحفـــوف إجتيازه بمخاطر جمة .

ووصل الأسطول المصري إلى شواطئ بيروت وتغلب على المراكب الصليبية وكـــان يتألف من " تسع عشرة مركبا" حربيا" مزودة بالميرة والسلاح والرجال . وأفرغت الأقـــوات والمؤن والعدد والسلاح لأهل المدينة ، فقويت المدينة وقويت نفوس من فيـــها مـــن الرعيـــة (٥١).وأمام بسالة أهل بيروت ، استنجد بلدوين بالجنوية .(٥٢)الذين يعود إليهم الفضـــل فـــي احتلال مدينتي جبيل وطرابلس . وهم الذين سخروا سفنهم لخدمة أهداف الحركة الصليبيـــة ،

فقدموا أربعين مركبا" مشحونة بالمقاتلة وعليها مائة منجنيق . وأمطروا المدينة بالحجـــارة . ودارت معركة بحرية طاحنة يوم الجمعة ٢١ من شوال ، استشــهد فيــها مقــدم الأســطول المصري وعدد كبير من رجاله ويقول في ذلك ابن القلانسي " لم ير الإفرنج فيما تقدم وتـأخر أشد من حرب هذا اليوم " (٥٣).

وقد وجد الصليبيون في غابة الصنوبر التي كانت تحيط بالمدينة من جهــة الجنــوب ، والتي لا تزال قائمة حتى اليوم مصدرا" للأخشاب ، (٥٤)،وهكذا بنى الجند من هذه الأبـــراج الخشبية والسلالم للتسلق على الأسوار ، وأدوات القذف ، وجميع الآلات الحربية التي قد تكون مفيدة في الحصار . وبقي الهجوم على المدينة متواصلا" بحيث لم يمنح المدافعـــون فرصـــة للراحة حتى الساعة الواحدة في الليل أو النهار وهكذا فقد أنهك المسيحيون ـ الصليبيـــون ـ قوة أعدائهم بجهد لا يطاق وذلك بعملهم بالتناوب ، وبالتتـــالي بعضـــهم أثـــر بعـــض علـــى مراحل.(٥٥) وانخذل الناس في البلد وأيقنوا بالهلاك ، فهجم الفرنج على البلد في آخر النـــهار من يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال سنة وثلاث وخمســـمائة الموافــق لـــه الســـابع والعشرون من شهر نيسان في العام ١١١٠ م. وملكوه بالســيف قــهرا" ، بعــد حصــار دام شهرين.

وحاول والي بيروت عضد الدولة علي ، الهرب في جماعة من أصحابه ، منهم الأمير ســـالم بن ثابت بن معروف ، والأمير عبد الحليم بن علي بن طعمة ، وولده الأمير ســـاعد وأخـــوه الأمير عبد الرحيم بن علي ، وأسر ثلاثة منهم الأمير خضر بن علي بـــن الحســين .وولـــده الأمير الحسين ، والأمير علي بن طعمة بن علي . ولكن الوالي ومن كان معه وقعـــوا فـــي قبضة الصليبيين في اليوم التالي خارج سور المدينة ، وغنموا ما كان استصحبوه من المـــال ، ونهب البلد وسبي من كان فيه وأسر ، واستصفيت أموالهم وذخائرهم .وملك الفرنـــج مدينـــة بيروت وكانت بيد نواب الخليفة العلوي ".(٥٦)

وتذكر بعض المصادر انه عندما يئس صاحب بيروت من وصول المساعدات إليه . فـر في سفينة ليلا" إلى قبرص حيث استسلم للحاكم البيزنطي ، فاضطر أهل بيروت إلى التســـليم لبلدوين بعد أن حصلوا على وعد منه بالأمان .(٥٧)

ومع الأمان الذي حصل عليه أهل المدينة ، فان الجنوية، والبيازنة قـــد نكثـــوا العـــهد واحدثوا مذبحة رهيبة في أهل بيروت المسلمين ، ولم يستطع الملك بلدوين اســـتعادة الأمـــن والسلام إلا في صعوبة بالغة(٥٨) وسقطت مدينة بيروت بيد الفرنجة فـــي ٢٧ نيســـان ســـنة ١١١١ بعد حصار دام ٧٥ يوما" حيث أعمل الجيش الغازي في رقاب أهلها وتقاسموا غنائمها وبين وليم الصوري بوضوح أكثر هذه المسألة بقوله : وروع الملك أخيرا" بمشـــهد المذبحـــة القاسية، فأمر المنادي ليعلن إنهاء المذبحة ومنح الحياة للباقين المهزومين (٥٩).وهـــذا مغـــاير

لآراء كثيرة تناولت هذا الحادث حيث جاء " جمع ملك القدس جيوشه وقصد مدينة بيروت فحاصرها برا" وبحرا" ثم أخذها بالسيف وقتل نفرا" كثيرا" من أهلها.(٦٠) وقال آخر :" لكن بلدوين لم يف بوعده وأطلق يد البحارة فعاثوا في المدينة ، هدموا المباني ، وقتلوا السكان المستأمنين .(٦١) ويتابع ثالث:" بلغ عدد القتلى الذين استشهدوا من أهل بيروت الإسلامية عشرين ألفا" . ولم يكتف بلدوين الصليبي بما فعله في بيروت بل أخرج الأسرى جميعا" خارج المدينة .وضرب أعناقهم في اليوم التالي من سقوط بيروت (٦٢).

وخلال تتبع هذه المسألة ، وبالرجوع إلى أكثر المصادر ، فان الملك بلدوين لم يأمر بالمجزرة التي حصلت في بيروت ، ولم يخرج الباقي من أهل المدينة ليذبحهم خارج الأسوار ولم يثبت عدد القتلى في المجزرة ، وأراه متمسكا" وملتزما" بنصوص الأمان الذي أعطاه لأهل بيروت ، وهو الذي أوقف حمام الدم في المدينة.

والاعتماد على ما جاء به البعض وبخاصة المؤرخ البرت داكس ، الذي لم يكن من الشهود العيان لهذه الأحداث .وإنما كان ينقل روايته وأخباره من شفاه العائدين المشاركين في الحروب الصليبية ، وبالتالي فان روايته تنقصها الدقة خاصة وأن فولشير أف شارتر لم يشر إلى هذه الرواية . (٦٣) ومن ناحية أخرى فان بلدوين بدأ يلتزم سياسة تخيير السكان المسلمين الراغبين في البقاء تحت سلطة الحكم الصليبي . وذلك لحاجته الماسة إلى هذه العناصر في مملكته التي شيدها.

ولم تمنع شجاعة المدافعين عن المدينة ولا مناعة أسوارها من الصمود . ويعود سبب سقوطها بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه لسبب هام ، وهو السلام الذي عقده الملك بلدوين مع دمشق . حيث كان لهذا السلام من الناحية العملية الأثر الأكبر لسقوط المدينة(٦٤) . حيث يسجل التاريخ حكمة بلدوين ونشاطه الشخصي بعزل بيروت بعد اتفاقية السلام مع دمشق. إلا ان الدولة الفاطمية ، لم تقف مكتوفة الأيدي ، فحاولت إيصال الإمدادات البحرية أثناء الحصار،

ولكنها باءت بالفشل بعد الحصار البحري القوي الذي فرضته السفن الإيطالية على مداخل الميناء . وتجدر الإشارة أيضا" إلا أن صيدا حاولت مد يد المساعدة والمساندة البحرية لكنها لم تفلح في ذلك . وبسقوطها إتسعت مملكة بيت المقدس ، وأصبحت تضم مدينة بيروت ، وهذه السنة التي اكتمل فيها قيام الملكية." إذ أن فترة الغزو الصليبي ، انتهت من الناحية العملية هذه السنة إلى العريش على تخوم مصر(٦٥)."وقد اقطع الملك بلدوين بيروت لأحد أشراف دولته أسمه فلك دي غين(FOULKS DE GUINES) او دي غسن (DE GUISNES) (١١١٠ ــ ١١٢٥ م.) وهو واحد من أربعة أبناء لبلدوين فلاندرز القادم مع الحملة الصليبية الأولى . وشرفه الملك بلقب بارون . ولما مات المذكور خلفه على ولاية بيروت سادة من ذريته تتابعوا في ملكها

إلى السنة ١١٨٧م. (٦٦) وهكذا فقد أصبحت بيروت إحدى إقطاعيات مملكة بيت المقدس الصليبي وكان على سيدها ان يقدم واحدا" وعشرين فارسا" للملك الصليبي حسب قوانين الإقطاع في المملكة وله في المقابل أربعة حقوق المحكمة ، و توزيع الأراضي , وسك العملة ، والعدالة (٦٧) . وطبيعي أن يعين ملك بيت المقدس أمراء على بيروت من اسر مرموقة وقوية وصاحبة نفوذ، ليظل ولاءها لمملكة بيت المقدس، وعلى عاتقها المحافظة على أملاكها الممتدة إلى نهر الكلب حدودها مع إمارة طرابلس.

وبعد إستيلاء بلدوين على مدينة بيروت ، نشب النزاع بين بطرقية بيت المقدس ، وبطرقية إنطاكية حول تبعية أسقفية بيروت . لأن مصلحة بلدوين تقتضي جعل بيروت تابعة له من الناحية الدينية بعد أن ضمنها من الناحية السياسية . وتمسك بطرق انطاكية بتبعية تلك الأسقفية له . وحين اشتد النزاع عرض الملك بلدوين الأمر على البابوية . فأفتى البابا باسكال الثاني سنة ١١١١ م بان البابوية ترى أن تكون الكنائس في جميع البلاد التي يفتحها بلدوين تابعة لبطرق بيت المقدس (٦٨).

وبعد سقوط بيروت، بقي نفر من المسلمين يعيشون في أطرف المدينة والقرى المحيطة بها إمتدادا" من نهر الدامور حتى نهر الكلب ، صعودا" إلى هضاب سلسلة جبال لبنان الغربية ، وهم الذين يمثلون القوى العمالية المنتجة في المدينة وهم ليسوا من المحاربين ولا يسببون مشكلة للقوى الحاكمة فتلتقي مصالح هؤلاء الزراع مع الأسياد الجدد ولو مرحليا" .

وقد فصل ذلك أحد المستشرقين : كانت أغلبية الزراع من السكان المحليين ، وعندما استقر الأسياد الجدد في الأراضي المغتصبة ، حولوا الفلاحين العائشين في القرى إلى أقنان . ولكن عبء الضرائب التي كان ينبغي تحملها في صالح الأسياد ، قد اشتد لأن مقدار هذه الضرائب كان رهنا" بتعسف الأسياد وكان كبيرا" جدا" ...فقد كان الأقنان يدفعون ضرائب مختلفة عن الحقل المورروث والمرعى والبستان . وكانت ضريبة الرأس ظاهرة جديدة شديدة الوطأة على السكان الكادحين . خارج أسوار مدينة بيروت وبموجب أصول قانونية صدرت في مملكة بيت المقدس ، كان من حق السيد أن يلاحق) الأقنان الهاربين ويعيدهم بالقوة ، علما" بأن هؤلاء الأقنان كانوا أحيانا" يؤلفون فصائل من قطاع الطرق تجوس ربوع البلد وتنكل بالافرنج المكروهين (٦٩).

ويستشهد بنص لواحد من الذين عايشوا هذه المرحلة . هو فولهير من شارتر الذي عاش في مملكة القدس زهاء ٣٠ سنة أن سكان الأرياف كانوا دائما" إلى جانب الدول والإمارات الإسلامية . ففي سنة ١١١٣ مثلا" بعد إخفاق الفرسان في معركة سن النبرة . هاجم الزراع من منطقة السامرة مدينة نابلس وإجتاحوها ونهبوها . وفي سنة ١١٢٥ م نشبت انتفاضة فلاحية كبيرة في منطقة بيروت وصيدا ورفض الزراع المسلمون أن يدفعوا الإتاوات.

آنذاك لجأ سيد بيروت غوتيه الأول ١١٢٥ ـ ١١٢٦ م إلى القوة وذهب ملك القدس إلى مساعدته ، ولأجل ضمان خضوع المسلمين لسيد بيروت ، بنيت قلعة مون غلافيان ـ والتي ذكرها وليم الصوري بأنها بنيت على جبل غلافينوس في الجبال الواقعة فوق مدينة بيروت ـ كسند ضد سكان الضواحي . وبغرض تنفيذ حكم الإعدام في الذين تصدر بحقهم هذه العقوبة من أهل بيروت(٧٠) ويلقي ستيفنسن الضوء على هذا الموضوع فيقول " لكن بلدوين كان يخشى الثورة من جديد فعمد سنة ١١٢٥ م. إلى بناء قلعة على التلال المشرفة على مدينة بيروت تبعد عنها حوالي ستة أميال ، والهدف من بناء هذه القلعة إجبار المواطنين المسلمين على دفع الضرائب للاتين (٧١) إشارة إلى أن المكان الذي أقيمت فيه هذه القلعة هو ما يعرف اليوم بيت مري ومع السياج العسكري المحكم الذي فرضه الصليبيون على بيروت من ناحية البر . فإنهم مع ذلك لم يهملوا حماية الحدود من ناحية البحر . ففي خريف العام الثاني للانتفاضة عام ١١٢٦ م/ ٥٢٠هـ. أقلع الأسطول المصري من الإسكندرية . إلى مياه بيروت على الساحل السوري للتزود بمياه الشفة ، وعند نزول فرقة من الأسطول جابهتها الحامية الصليبية في معركة حامية جدا" ، اضطر على أثرها الأسطول المصري إلى التراجع (٧٢) وأغلب الظن ان ماء الشفة لم يكن الهدف لهذه السفن . وفي ذلك يورد البعض أن الأسطول المصري أغار على الساحل المسيحي . والواقع أن المصريين أدركوا ، بعد أن حاولوا القيام بغارة على أرباض بيروت كلفتهم خسائر جسيمة . وأن المدن الساحلية مشحونة بحاميات قوية . فلم يسعهم إلا العودة إلى وادي النيل(٧٣).

ويوضح وليم الصوري تلك الحادثة " كان الأسطول المصري المؤلف من أربع وعشرين سفينة على طول الشاطئ يبحث عن فرصة لإلحاق الأذى بعدد من مدننا . وكان قد وصل إلى مدينة بيروت وكان الجنود الموجودون على ظهر السفن مستنفرين دوما"... واستعمل سكان المدينة أسلحتهم بقوة واجبروا جنود العدو على التقهقر إلى السفن حيث اضطروا إلى الانسحاب بعد أن فقدوا مائة وثلاثين أو مائة وعشرين رجلا" سقطوا طعمة للسيف (٧٤) .يتبين مما سبق ، ان الصليبيين وجدوا أنفسهم بين فكي كماشة ، الفاطميون في مصر والسلاجقة في الشام , وهاتان القوتان كل منهما يسعى لاستعادة نفوذه على الساحل السوري ، وبخاصة مدينة بيروت ، مما حمل السلاجقة احتضان إمارة الغرب حتى لا تقع تحت النفوذ الصليبي .

ففي عام ١١٤٥ م/٥٤٠ هـ. كتب مغير الدين ملك دمشق إلى المير بحتر ابن شرف الدولة ابن تنوخ المشهورين بأمراء الغرب في ثغر بيروت أنه يتصرف في القرى التي بجبل بيروت . كما كانوا تصرفوا . وإليه بالضياع التي بالغرب (٧٥) وفي هذا يقول صالح بن يحيى "وأجرى على معهوده من الإمارة بالغرب من جبل بيروت(٧٦) .

وقد لعب جي الثاني دورا" مهما" أثناء مشاركته في مجلس عكا الذي نـــاقش وجهـــة الحملـــة الصليبية الثانية ١١٤٨ م/ ٥٤٣ هــ. وكان من بين الأمراء العلمانيين الحاضرين كل من هيو دى ابلين صاحب نابلس وهنري صاحب تيرون ، وسيمون صاحب طبرية وجيرار صـــاحب صيدا . وغي صاحب بيروت (٧٧) GUI DE BARUT وبعد فسخ الهدنة التي عقدت بين الدولـــة الفاطمية ومملكة بيت المقدس ، والتي سمحت لطلائع بن رزيك وزير الخليفة الفاطمي الفـــائز بنصر الله (٥٤٩ ــ ٥٥٤ هــ.) العمل على إيفاد المراكب الحربية المصرية التي انتهت إلى بيروت وأوقعت بمراكب الفرنج وأسرت منهم وغنمت .وهي المراكب الصليبية نفسها التـــي وصلت إلى بيروت عام ٥٥٢ هــ. تحت قيادة دمتريخ صاحب فنلندرز .(٧٨)

وفي عهد بلدوين الثالث (١١٤٤ ــ ١١٦٢ م) جدد الصليبيون غاراتهم مرة أخـــرى علـــى الفرما ــ في مصر ــ ونهبوها وحرقوها وأخربوها في رجب ٥٥٤ هــ. / ١١٥٩ م . بهدف السلب والنهب والهاء مصر عن بلاد الشام والحفاظ على أوضاعهم بعد النجاح الذي حققه نور الدين زنكي . وقد رد الوزير الفاطمي العادل بن السلار الذي لم يغفر للصليبييـــن فعلتـــهم ، فجهز في العام نفسه ٥٥٤ هــ. / ١١٥٩ م. المراكب الحربية سبعون مركبا" حربيا" وشـحنها بالرجال واتجهوا إلى يافا ، فاسروا وأحرقوا . وقتلوا ما وقع تحت أيديهم كما استولوا علـــى بعض السفن الصليبية، ثم اتجهوا إلى عكا وفعلوا مثلما فعلوا بمدينة يافا وأرسلوا ما اســتولوا عليه من سفن وأسرى إلى مصر ثم قصدوا صيدا وبيروت وطرابلس وكانوا ما فعلوه بتلـــك المدن ، وتحديدا" بيروت ــ لا يقل عما فعلوه بمدينتي يافا وعكا(٧٩).ثم عادت قطع الأسـطول المصري غانمة مظفرة من غير أن تعترضها البحرية الصليبية هذه الضربـــات الموجعـــة ، أكدت للقوى الصليبية أن مصر هي معقل القوى الإسلامية وان القضاء عليها ، فيها ضمـــان للممتلكات المسيطرة عليها في بلاد الشام.

وفي عام ١١٦٢ م. توجه بلدوين الثالث من إنطاكية صوب بيت المقدس ، ولكنه مرض فـــي الطريق وتوفي في بيروت في شهر فبراير ١١٦٢ م. ونقل جثمانه إلى القدس(٨٠) . ويذكـــر البعض أنه مات على ما يقال مسموما" بدسيسة طبيب يهودي يدعى براقا" (٨١).

وأثناء تولي أملريك الأول (١١٦٣ ــ ١١٧٤ م.) عرش مملكة بيـــت المقـدس اسـتهوته شخصية رجل يدعى اندرونيقوس كومينوس ، وهو في السابعة والأربعين من العمر . وكـــان من قبل حاكما" لمقاطعة قيليقية ، وهو من أبناء عمومة الإمبراطور البيزنطي مـــانويل الأول كومينين١١٤٣ ــ ١١٨٠ م. ، الذي طرده من إمارته بسبب العلاقة مع تيودورا ابنـــة عمـــه ونتيجة لإعجاب أمريك بشخصية وبسالة اندرو نيقوس . جعل له بيروت إقطاعا"، وكان وقـت ذاك شاغرا"... ولم يلبس أن توجه اندرو نيقوس وتيودورا بعدئذ إلى عكا ، التي كانت معـــاش ابنة عمه الأرملة الملكة تيودورا . وكانت وقتذاك في الحادية والعشرين من عمرها وفي قمـــة

جمالها ، فتبادلا الغرام والحب . ولكن صلة القرابة بينهما بلغت من الوثاقة والقرب ما يمنعهما من الزواج ، على ان الملكة قدمت دون خجل أو حياء إلى بيروت ، وعاشت معــه خليلــة . ولما بلغ الأمبراطور النبأ ، طلب من مبعوثيه سراً" القبض على الجاني وإحضاره له. ووقعت هذه المعلومات بيد تيودورا . مما دفع سيد بيروت اندرو نيقوس والملكة تيودورا أن " تخليا عن كل ما لديهما من متاع ، إجتازا الحدود إلى دمشق دون أن يلتفت إليهما أحد ، فأحسن نور الدين إستقبالهما : ومنحهما أحد أمراء المسلمين قلعة قرب بافلا جونيا الذي يفصــل بيزنطــة والبلاد الإسلامية (٨٢).

وفي أثناء إمارته وقعت حادثة مع إمارة الغرب تدل على مدى الحقد الدفين والغـــدر عند الصليبيين ، نتيجة تنامي قوة هذه الإمارة الموالية أساسا" والمرتبطة بولاية دمشق والتــي تشكل شوكة في خاصرة بيروت الصليبية .

ووقائع الحادثة أن صاحب بيروت هادن واستدرج أولاد كرامة بــن بحــتر الثلاثــة الكبار وأقام معهم علاقات طيبة .وتكرر إجتماعهم معه في الصيد وهو يعطيهم ويحسن إليــهم وكان معه في المرة الثالثة ولده فعزمهم في عرسه فلما كان وقت العرس نزلوا الثلاثــة إلــى بيروت فانزلهم صاحب بيروت في بستان ظاهر البلد واعتذر إليهم بنزولهم برا البلد بما اجتمع فيه من طوايف الفرنج لوليمة العرس وزاد في إكرامهم ولما دخل الليل سالهم الحضور إلـــى مجلس خاص قد هي لهم ولملوك الفرنج فدخلوا الثلاثة إلى القلعة معهم نفر قليل فكــان آخــر العهد بهم. وركب صاحب بيروت بمن عنده من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة وطلعــوا إلى الحصن ــ سرحمور ــ وكان خاليا" من الرجال فهرب من كان به ، وبينـــهم ام حجــي وولدها حجي فنهبت الفرنج الحصن وهدموه وألقوا بحجارته في الوادي ولا أبقوا لـــه أثــرا" وأحرقوا القرايا وأسروا من تخلف عن الهرب .. وقيل إن هذه الكاينة كانت في أواخر دولـــة الملك العادل نور الدين بن زنكي (٨٣).

وبوفاة نور الدين زنكي واصل صلاح الدين الأيوبي الجهاد ضد الصليبيين ، فقام فــي عام ١١٧٩ م ــ ٥٧٥ هــ. بشبه غارة خاطفة على بيروت وذلك بإتلاف المحاصيل المحيطة بها وذلك كنوع من أنواع الضغط الاقتصادي على الصليبيين . واضطر الصليبيون بعدها إلى عقد هدنة معه مما أدى إلى انسحاب الأسطول الأيوبي من أمامها التزاما" بهذه الهدنة (٨٤).

وكان صلاح الدين يركب كل يوم بحجة الصيد ، وينزل على نهر الدامور ، ويجــرد العساكر وقبائل العرب إلى صيدا وبيروت حتى يحصدوا غلات العدو وما يبرح مكانه حتــى يعودوا بجمالهم وأحمالهم حتى خف الزرع عند الفرنج . وفي خلال هــذه الجــولات ، كــان صلاح الدين يقصد التحرش واستدراج الفرنج خارج أسوار بيروت ، إضافــة إلــى دراســة ميدانية لطبيعة تلك الأراضي . وقد راودته فكرة فصل إمارتي طرابلس والرها ، وإنطاكيــة

عن مملكة بيت المقدس. وذلك عن طريق الاستيلاء على بيروت ، واتخذ الاستعدادات لتنفيذ هذا المشروع الضخم . وتفصيل ذلك " ان صلاح الدين أرسل تعليمات دقيقة إلى أخيه — العادل — في مصر بجمع اسطول من الإسكندرية ومصر وإرساله بالسرعة الممكنة وأوضح انه عقد العزم ، فور وصول هذا الأسطول على محاصرة بيروت برا" وبحرا" (٨٥).

وتمت المراسلة على وجه السرعة ببريد الحمام الزاجل المنتظم بين دمشق والقاهرة (٨٦).ويتابع الصوري ، ولكي يمنع الملك الصليبي — وشعبه ، من الإسراع لنجدتها — بيروت — فقد أمر أخاه أن يجمع قوات الفرسان التي كانت قد تركت في مصر .. وأن يدخل مع هؤلاء بلادنا من الجنوب فيدمر سائر المنطقة الواقعة حول غزة وعسقلان والداروم التي تعتبر المدن الأخيرة التي تخص المملكة على هذا الجانب المحاذي لأرض مصر . ووصل في غضون بضعة أيام أسطول — مصري — مؤلف من ثلاثين سفينة — منقارية (المجاورة) — جراب أو غراب — وقاد أخوه إلى المنطقة المجاورة للداروم القوات التي كان قد جمعها من سائر أنحاء مصر .وقاد صلاح الدين بنفسه قوة إلى الموقع المعروف عموما" باسم وادي البقاع . ووضع الكشافة التي تشرف على البحر في الجبال المشرفة على سهل بيروت ، ليخطروه عن رؤيتهم للأسطول .ووصل الأسطول في الأول من شهر آب بالضبط وكان قبالة الساحل بالقرب من بيروت ، وقدم الكشافة المعدون خصيصا" لهذا الغرض ، إشعارا" فوريا" بهذا الوصول. وعبر صلاح الدين على الفور الجبال الفاصلة بين موقعه وبيروت — جبل صنين — وقاد قواته إلى السهل وحاصر مدينة بيروت بشكل تام حسب الخطة التي رتبها (٨٧). غير أن بيروت كانت منيعة التحصين ، إذ كان أسقفها أودو ، أقام نظاما" قويا" شديد البأس للدفاع عنها (٨٨).

وفي هذه الأثناء استدعى ملك بيت المقدس — بلدوين الرابع — قواته ، وتقدم على رأس الجيش بأكمله نحو مدينة صور. حيث أمر بتجهيز الأسطول الذي كان راسيا" في موانيء عكا وصور .. والمؤلف من ثلاث وثلاثين سفينة مسلحة بشكل جيد ومزودة برجال شجعان (٨٩).

وأمام بسالة أهل بيروت وحصانة أسوارها وبوصول الأنباء عن تحرك الأسطول الصليبي من صور اضطر صلاح الدين لفك الحصار عن بيروت ، وتراجع مقتنعا" بالرعب الذي أحدثه فيها وفي جميع المستعمرات الصليبية، حيث سبى من بيروت وسلب وظفر من غنيمتها بما طلب (٩٠).

ويوضح ابن الأثير" إنه سار عن دمشق إلى بيروت ، فنهب بلدها. وكان قد أمر الأسطول المصري بالمجيء في البحر إليها، فساروا ونازلوها ، وأغاروا عليها وعلى بلدها، وسار صلاح الدين فوفاهم ونهب ما يصل الأسطول إليه" (٩١) وكان عازما" على ملازمتها

إلى أن يفتحها لكنه خاف إجتماع الفرنج عليه فتركها بعد ثلاثة أيام من الحصار(٩٢) . وقد يكون من أسباب فك الحصار تحرك قوات الموصل المعادية له ناحية حلب ، هذا من جهة الشمال ، أما في الجنوب فقد تحرك ملك بيت المقدس باستعدادات ضخمة مع إمارة طرابلس الصليبية .

ولا شك أن اختيار صلاح الدين لبيروت ، ومهاجمتها عدة مرات ، سواء عن طريق الحصار الاقتصادي أو الهجوم المباشر ويوضح مدى أهميتها في الربط بين شمال مملكة بيت المقدس وجنوبها .

وكان النشاط البحري الإسلامي في هذه الفترة التي سبقت معركة حطين قد بينت لنا مدى هذا النشاط، حيث استطاع الأسطول الإسلامي أن يشل حركة وقوة الصليبين البحرية . نتيجة لتوحد القطرين الشامي والمصري. والذي انعكس إيجابا" على قدرة الأسطول الإسلامي. هذا من ناحية . ومن الجانب الآخر فان طبيعة الصراع الداخلي بين الصليبيين وبخاصة على زعامة بيروت قد أثر بدوره على قدرات القوى الصليبية برمتها . ففي أغسطس سنة ١١٨٦ م / ٥٨٢ هـ. مات بعكا الملك بلدوين الخامس ، ولم يبلغ التاسعة من عمره وحضر إلى جانب فراش الموت الوصي على العرش ريموند ، والصنجيل جو سلين. وإذ أعرب جوسلين عن حرصه على التعاون مع ريموند ، أقنعه بالتوجه إلى طبرية ... وتعهد جوسلين بنقل جثمان الملك إلى بيت المقدس لموارته . على أن ريموند وقع في الفخ الذي نصبه له جوسلين ، فمضى في طريقه في نية سليمة. ولم يكد ريموند يخرج متوجها" إلى طبرية حتى أرسل جوسلين من العساكر من كانوا موطن ثقته ، فاحتلوا صور وبيروت ، بينما بقي هو في عكا حتى أعلن سبيللا ملكا" عليها . واكتشف ريموند ما تعرض له من خداع ... ودعا إلى عقد المحكمة العليا للبارونات (٩٣) .

ويؤكد ذلك ما جاء في بعض المصادر أن جوسلين أنشأ في العام ١١٨٦ م فرقة فرسان تابعة له و استولى على بيروت بالغش والخيانة من كونت طرابلس (٩٤).

وبتولي سبيللا عرش مملكة بيت المقدس ، أصبح زوجها جاي شريكا" لها في حكمها. ولم يلبث جاي أن عقد في عكا أول جمعية للبارونات ، ولم يظهر ريموند في هذه الجمعية.وأعلن جاي أنه تقرر نزع بيروت من ريموند . الذي حازها باعتباره وصيا" ، وأرسل إليه إخطارا" بأن يقدم حسابات عن الأموال العامة التي أنفقها أثناء وصايته .(٩٥) وكانت موقعة حطين ١١٨٧ / ٥٨٣هـ.التي ضرب صلاح الدين الفرنج ضربة لم ينلهم مثلها منذ وطئوا أديم الشام سنة ٤٩١ هـ. .(٩٦) ويتابع البعض فيقول " سبق للمسيحيين في الشرق أن تعرضوا للكوارث ، إذ وقع في الأسر ملوكهم وأمراؤهم ، غير أن آسريهم لم يكونوا وقتذاك سوى أمراء صغار ، لم يستهدفوا إلا إحراز بعض الكسب ، على حين جرت في قرون

حطين إبادة أضخم جيش لم تحشد المملكة مثله من قبل ، وضاع الصليب المقدس وكان المنتصر سيد العالم الإسلامي بأكمله (٩٧).

ثم عاد السلطان إلى بيروت بعد انتصاره العظيم على الصليبيين في واقعة حطين . وكان من المفروض أن يتجه بعد حطين صوب بيت المقدس ليستولي عليها في سهولة ويسر بعد أن غدت المملكة الصليبية دون جيش يدافع عن عاصمتها ، وآثر أن يتجه إلى الموانئ الساحلية ليحرم الصليبيين من أية معونة تصل إليهم من غرب أوروبا عن طريق البحر(٩٨).

وقد تم هذا العمل بثاقب نظر صلاح الدين ليقطع أوصال الإمارات الصليبية حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك . ومن جهة ثانية يكون قد سيطر على أطول شريط ساحلي بما فيه من موانئ ، ويحرم إقتراب سفن الصليبيين إلى تلك السواحل.وسار صلاح الدين فأخذ صرفند بغير قتال ، ثم رحل إلى صيدا ، ففر أهلها وتركوها فارغة من مانع ومدافع .. وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلدا" بلدا" لخلوها من المقاتلة والملوك (٩٩).

ووصل ظاهر بيروت ، وهي من أحصن مدن الساحل ، وأنزهها وأطيبها نهار الأربعاء حادي عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وخمس مابة . فرأى أهلها قد صعدوا على أسوارها وأظهروا القوة والجلد والعدة وقاتلوا على سورها عدة أيام قتالا" شديدا" واغتروا بحصانة البلد (١٠٠). فحاصرها وغاب عن ذهن أهل بيروت المحاصرين ، أن صلاح الدين لما حاصرها قبلا" لثلاثة أيام وفك الحصار إنما درس طبيعة الإجراءات العسكرية التي سيتخذها للتغلب على المدينة المحصنة ، وأسوارها العالية ، ليتمكن من اقتحامها ، فاحضر هذه المرة كل وسائل القتال اللازمة لهذه المدينة من مجانيق ، ونقابين ، وفرسان . إضافة إلى حالة الإحباط الشديد التي يعاني منها الصليبيون بعد هزيمتهم في موقعة حطين.فحصرها ، وأحاط العسكر بساير جهاتها ونصب المجانيق ــ التي اتخذها من زيتونها ــ وضايقها ، حتى خرق الخندق ، وعلق النقاب بالسور... وخرج من البلد رجال وقفوا دون الباشورة ــ المكان المعروف بذات الاسم حتى اليوم ــ وهو الحائط الظاهري من الحصن ، وظن أهل بيروت أن المسلمين دخلوا ، فأجفلوا إلى البحر (١٠١)،

وبينما الفرنج على السور يقاتلون إذ سمعوا من البلد جلبة عظيمة وغلبة زائدة فأتاهم من أخبرهم ان البلد قد دخله المسلمون من الناحية الأخرى قهرا" وغلبة فأرسلوا لينظرون ما الخبر ، وإذ ليس له صحة ، فأرادوا تسكين من به فلم يمكنهم ذلك لكثرة ما اجتمع فيه من السواد فلما خافوا على أنفسهم من الاختلاف . أرسلوا يطلبون الأمان فأعطاهم ما أرادوا . وتسلمها يوم الخميس في التاسع والعشرين من جمادى الأول . وتسلم أصحابه جبيلا" وهو على بيروت(١٠٢) . ويضيف ابن خلدون :" إن صلاح الدين سار إلى بيروت فاكتسح نواحيها، وكان قد أستدعى الأسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها فأمنهم على أنفسهم

وأموالهم .. ومرض العماد الأصفهاني الذي كان عليه أن يحضر ويكتب كتاب الأمان ، فأملى كتاب صلح بيروت ورجع إلى دمشق للمداواة ، وخرج منها ومن قلعتها الفرنج(١٠٣) وقد امتد حصار المدينة من ٢٢ جماد الثاني وحتى ٢٩ من الشهر نفسه . وكان للإشاعة التي صدرت بأن المسلمين اقتحموا بيروت من الجهة الأخرى أثره في سريان روح الهزيمة عند الصليبيين، حسبما ثبت من خلال النصوص . والثابت ان من آثار هذه الإشاعة رجل من المسلمين المقيمين داخل المدينة. وقد آتت الإشاعة مفاعيلها . إضافة لإدراك قسم كبير من الصليبيين أن صلاح الدين مصر على دخول المدينة . وقد تأخر وصول المدد من أوروبا . هذه الأسباب مجتمعة دعت أهل المدينة إلى طلب الأمان من صلاح الدين الذين يثقون بأمانه وعهوده وكان من عادة صلاح الدين إذا سأله الفرنج في الأمان يؤمنهم ، فتوجه فرنج بيروت بأمانه إلى صور . فتسلم المدينة ونصب السنجق السلطاني على قلعتها ، وكان بها جماعة من المسلمين مستوطنين مساكين بمساكنة الفرنج فانجلت عنهم الكمدة ورأوا الفرج بعد الشدة ، وولى السلطان على بيروت سيف الدين بن علي بن احمد المشطوب ، وكان أميرا" جليل القدر ثم ولى عليها أسامة بن منقذ . فكانت مدة استيلاء الفرنج على بيروت ثمانين سنة وثمانية أيام (١٠٤).

ويوضح أبو شامة. أن صلاح الدين اهتم بالثغور الشامية . وبخاصة بيروت . وبعد دخول المدينة زاد اهتمامه بالميناء وطلب إلى الأسطول الإسلامي أن يتوجه ويرابط على ساحلها لحمايتها من الأسطول الرومي . ويضيف أنه بعد سقوط المدينة ، وسيادة صلاح الدين، تجلت سماحته بالمعاملة الطيبة لسكانها المسيحيين.(١٠٥)

والذي جاء في النص" وقد أدى الانتصار الساحق الذي حققه صلاح الدين على الصليبيين إلى تغيير الوضع الديني في هذه المدينة بين النصارى أنفسهم الذين وجدوا في مروءة هذا السلطان ما جعلهم يتخذون الإسلام دينا" والانضمام إلى صفوف الجيوش الإسلامية (١٠٦). وهذه المعلومة لم يثبت لها أصل ولا أساس في مصادر التاريخ الإسلامي كافة . هذا من ناحية، ومن الناحية الثانية فان سكان بيروت الصليبيين طالبوا بالأمان للخروج من المدينة . وكان صلاح الدين كلما فتح مدينة أعطى أهلها الأمان فسار أهل بيروت كلهم إلى صور وكثر الجمع بها (١٠٧) ونجم عن سقوط بيروت بيد صلاح موقف لافت لريموند كونت طرابلس الذي وقف على الحياد ولم يقدم مساعدة لملك بيت المقدس لأنه لم يرجع بيروت لدائرة نفوذه وسيطرته (١٠٨) . وبنتيجة سقوط بيروت ساد أمراء الصليبيين في بلاد الشام حالة من الانكسار دفعت البعض منهم لطلب الأمان .

فإنه لما أراد السلطان الانفصال عن بيروت آتاه بها بيمند ــ الأبرنس ــ الإنطاكي ــ صاحب إنطاكية وطرابلس وأعمالها فالتزم طاعة صلاح الدين ، ومتمسكا" بحبل العصمة ،

وكان معه من مقدمي فرسانه أربعة عشرة بارونا" ووهب صلاح الدين كلا" منــــهم تشــريفا" سريا" وأجزل له ولهم العطاء وكتب له من مناصفات إنطاكية معيشة مبلغ عشرين ألف دينــار وخص أصحابه بمبار وأعجبه استرساله إليه ودخوله عليه بغير أمان (١٠٩) . "وكانت هــذه الحادثة ووالي بيروت في تلك المرحلة عز الدين أسامة.وقبل مغادرة السلطان بيروت ، كافــأ أمراء الغرب على نبل مواقفهم ومساعدتهم لجيش المسلمين حيث التقاه أمــيرهم حجــى بــن كرامة في الحادي عشر من جمادى الأول سنة ٥٨٣هـــ. عند قرية خلدا وهــو فــي طريقــه لحصار بيروت . وبعد انتهاء عملية الفتح إلتقى السلطان جمال الدين حجى بن كرامة ولمــس بيده رأس حجي ، وقال له هذا قد أخذنا ثارك من الفرنج طيب قلبك أنت مستمر مكان أبيــك وأخوتك .(١١٠)

وهذا الموقف من صلاح الدين كان على أثر الحادث الذي ألم بإخوته كما مر معنا . ورسم لــه منشورا" جاء فيه بعد البسمله . باجرا الأمير جمال الدولة حجي بن كرامة على ما بيده مــن جبل بيروت من أعمال الدامور لما وصل إلى الخدمة السلطانية وتحققنا ما جرى عليــه مــن جانب الكفر خذلهم الله وهو ملكه وارثه عن أبيه وجده وهي ، ســـرحمور، عيــن كســور ، رمطون ، الدوير، طردلا ـــ عند رافيل ، ومزارعهم وذلك حبسا" منا عليــه وإحســانا" إليــه لمناصحته وخدمته ونهضته في العدو المثاغر له التاريخ وكتب بأرض بيروت فــي العشــر الآخر من جمادى الأول سنة ثلثة وثمانين وخمسماية .(١١١)

وقد حدث في هذا الوقت انه مر سائح رومي عام ١١٨٨ م. يدعى يوحنا فوكاس ، فكتب فــي رحلته عن بيروت بعد سيره إليها من جبيل " فلاحت لنا بعد ذلك بيروت المدينة الكبيرة وهــي حافلة بالسكان تحيط بها البساتين ولها مرفأ شهير بحسنه .:ليس هو تكوين طبيعي بل هو مــن الصناعة ، وهو داخل في وسط المدينة على شبه الهلال . فترى برجين كبيرين قد شيدا علــى طرفيه . يمتد بينهما سلسلة ضخمة تصون من الغزاة المراكب التــي فــي داخــل الدائــرة . وبيروت تعد كحد لفينيقية ولسورية.(١١٢)

وغادر السلطان صلاح الدين مدينة بيروت وتوجه إلى دمشق ودخلها في الخامس والعشــرين من شوال ، وعند وصوله إليها جاءته الأخبار بقدوم فردريك الأول(بربروسا) . امــبراطور المانيا سنة ١١٩٠ م / ٥٨٦هـــ. على رأس الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة ، ومعه حوالــي مائتى ألف فارس ، وقيل أكثر من ذلك ، قاصدا" البلاد الإسلامية . وقد عرف صلاح الديــن بكل هذه التحركات من قبل صديقه اسحق أنجلوس(١١٣) أو كما أورد ابن شداد "وصل الخــبر من جانب حلب المحروسة من ولده الملك الظاهر يخبر فيها إنه قد صح إن ملك الألمان خرج إلى القسطنطينية (١١٤). فأرسل السلطان فأخرب سور صيدا، وسور جبيل ونقل أهلهما إلــى

بيروت ونقل إليها الميرة وشحنها بالرجال والسلاح وحصنها وجعلها قاعدة لتلك الجوانب . فكفا الله المسلمين شر صاحب الألمان، بموته غريقا" في نهر سالف في إقليم قيليقيـة بآسيا الصغرى . وسلط عليهم الفنا . فهلك الملك وغالب عسكره . ووصل ولد الملك إلى عكا دون ألف مقاتل ولم يتعرض في طريقه إلى بيروت ولا إلى غيرها (١١٥).

وفي أحداث عام ٥٨٦هـ . نرى أن السلطان صلاح الدين وضع الخطة المتكاملة لحماية مدينة بيروت من ناحيتي البر والبحر ، إذا ما حوصرت من قبل الصليبيين ، إلى جانب تشجيعه لصناعة السفن الحربية فيها معتمدا" على الثروة الخشبية الكثيفة حول المدينة وبخاصة أشجار الصنوبر . وإن صلاح الدين أثناء حصار عكا من قبل الصليبيين ونتيجة تأخر وصول بطس (١١٦) الأزواد من الإسكندرية إليها، فكتب إلى والي بيروت عز الدين أسامة لإنفاذ ميرة إلى عكا ، فعمل بطسة عظيمة في بيروت وملأها بالقمح وأصناف الطعام والآدام والأغنام ولكي يوصلها بحارتها سالمة وكانوا من المسلمين والنصارى من أهل بيروت وأرادوا ان تشتبه ببطس العدو في البحر، وحلقوا لحاهم وعلقوا الصلبان ، فشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر بمراكب الفرنج مختلطين فلما حازوا بها عكا صوبوها نحوها ، والريح تسوقها ، فدخلت الثغر (١١٧).

وقد أمدنا ابن كثير بتفاصيل دقيقة حيث قال :" البطشة فيها أربعمائة غرارة (١١٨) من القمح ، ووضع فيها من الجبن والميرة والبصل والغنم والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير ، وكان ذلك في العشر الأخير من رجب من شهور سنة ست وثمانين وخمسمائة (١١٩) وأرسل السلطان إلى الأميرّ أسامة مستحفظ بيروت يأمره بتجهيز ما عنده من الشواني والمراكب وتشحينها بالمقاتلة ، وتسيرها في البحر ليمنع الفرنج من الخروج إلى عكا، ففعل ذلك ، وسير الشواني في البحر، ولما كان يوم الأحد سلخ ربيع الآخر من سنة ٥٨٧ هـ. ١١٩١ م . وصلت كتب من بيروت تخبر إنه أخذ من مراكب الإنكتار ـ الإنكليز ـ والقاصدة نحو عسكر العدو خمسة مراكب مملوءة رجالا" ونساء" وطراده فيها خلق عظيم وميرة وأخشاب وآلات وفيها خمسون فارسا" وغير ذلك (١٢٠). وبنجاح البحرية قرر صلاح الدين أن يكرر بعث البطس من بيروت ، وزاد عدد المقاتلين على متنها ليكونوا مددا" لأهل عكا ، ومدافعين عن البطسة حتى تستطيع أن تصل سالمة إذا ما اشتبكت بالبحرية الصليبية .

ففي ١٦ جمادى الأولى سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م. ولا أدل على روح الفداء والشجاعة التي حارب بها المسلمون ، ان صلاح الدين أمر بتعبئة سفينة كبيرة ـ بطسة ـ في بيروت وشحنها بالآلات والأسلحة والمير والرجال الأبطال المقاتلة لإمداد حامية عكا عن طريق البحر .(١٢١) ووضع فيها من المقاتلة خلقا" عظيما" وكانت عدة رجال المقاتلة ستمائة وخمسين رجلا" ، فاعترض الإنكتار ـ ريتشارد قلب الأسد ـ في عدة شوان . وقيل كان في

أربعين قلعا" فاحتاطوا بها من جميع جوانبها، واشتدوا في قتالها .. وتكاثروا على أهل البطسة، وكان مقدمهم رجلا" جيدا" شجاعا"، مجربا" في الحرب . فلما رأى أمارات الغلبة عليهم ورأى أنهم لا بد وأن يقتلوا قال: والله لا نقتل إلا عن عز ، ولا نسلم إليهم من هذه البطسة شيئا"(١٢٢) . أو كما جاء " علام نسلمها والموت بالعز خير لنا من الحياة بالذل والشح بالدين أحب إلينا من البذل . فنزل إلى البطسة فخرقها من جوانبها بالمعاول ، ومانع عنها حتى أغرقها وغرق من فيها وما فيها. وكان اسم المقدم يعقوب(مقدم الجنداريه) من رجال حلب ، وتلقف العدو من كان فيها ..وخلصوه من الغرق وانفذوه إلى البلد ليخبرهم بالوقعة . (١٢٣) وهذه الوقائع حسبما جاء في جل المصادر ، منقولة عن جند كانوا على متن البطسة أسروا وأفرج عنهم لاحقا" .

وسقطت عكا بيد الصليبيين يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة ، وجرت بعدها مفاوضات عسيرة بين ريتشارد ملك إنكلترا وصلاح الدين ، عاد أكثرها بالفشل . وأثناء المفاوضات التي جرت عام ٥٨٨هـ. /١١٩٢ م. قرر ريتشارد أن يزحف فجأة على بيروت، ويستولي عليها وقد توجه إليها فعلا" على أمل أن يبحر منها إلى أوروبا . ففاجأه صلاح الدين يوم ٢٧ يوليو ١١٩٢ م. بالهجوم على يافا .. وما كاد أن يقترب من أسوارها ، حتى توجهت رسالة عاجلة إلى ريتشارد تحمل إليه نبأ الهجوم على المدينة . فبادر إلى النهوض لنجدتها ، بأن اتخذ إليها طريق البحر ، يسانده البيازنة والجنويون ، بينما أرسل إليها جيشه بطريق البر،(١٢٤) لإنقاذ يافا . وكتب للمفاوضات أن تنجح أخيرا" لأن مصلحة القائدين تقتضي الصلح والهدنة. وفي العشرين من شعبان عام ٥٨٨ هـ. رسم الصلح على أسس منها : من شاء من بلادهم يدخل إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا يدخل إلى بلادهم فليفعل وأن طريق الحج فتح من الشام وتخريب سور عسقلان وإخراج الفرنج منها، وهذه الهدنة عامة في البحر والبر، وجعلت مدتها ثلاث سنين وثلاثة اشهر، وفي رواية ابن الأثير لثلاث سنين وثمانية أشهر.(١٢٥)

وبعد عقد الهدنة، سار السلطان إلى بيروت ووصل إلى خدمته بيمند ـ بوهيمند صاحب إنطاكية ، يوم السبت حادي وعشرين من شوال . فأكرمه السلطان وفارقه غد ذلك اليوم ، بعد أن أبرم معه صلحا" نهائيا" ورحل صلاح الدين إلى دمشق ، فدخلها في الخامس والعشرين من شوال ٥٨٨هـ. وكان يوم دخوله إليها يوما" مشهودا" وتوفي السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي صاحب مصر والشام والجزيرة وغيرها من البلاد ، بدمشق ، بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة (١٢٦). تاركا" خواطر جالت بفكره أثناء محاصرته لنيقية ونقلها ابن شداد ، قال: في نفسي انه

متى يسر الله تعالى فتح نيقية الساحل قسمت البلاد ، وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتبعتهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت (١٢٧).

وبعد وفاة صلاح الدين تابع أمير بيروت جهاده ضد القوات الصليبية ، يورد ابن خلدون " كان لأمير بيروت عز الدين أسامة غزوات كثيرة في البحر ضد مراكب العدو والمارة في سواحل مدينة بيروت ، وشكا الأفرنج ذلك إلى العادل بدمشق ، والعزيز بمصر فلم يشكياهم فأرسلوا إلى ملوكهم وراء البحار يستنجدونهم (١٢٨)

وبينما الهدوء النسبي والحذر يخيم على المنطقة ، تعكر صفوه بين المسلمين والصليبيين بوصول حملة الأمبراطور الألماني هنري السادس الذي استولى في طريقه على جزيرة قبرص ١١٩١ م. ثم باعها إلى جاي لوزجنان المطالب بعرش بيت المقدس (١٢٩). وسرعان ما توقف نشاط الحملة بسبب وفاة الأمبراطور هنري، حيث قرر زعماء الحملة العود إلى أوروبا . وسارعت القوات الألمانية بالرحيل بعد تدفق العسكر الإسلامي من مصر وبلاد الشام. وعقب هذه المغادرة ، وظهور المنازعات بين أبناء البيت الأيوبي ، إنتهز ملك قبرص عموري لوزجنان الفرصة وهاجم مدينة بيروت بأساطيله وجنوده . وفي ذلك يقول النويري" أن فرنج الساحل راسلوا ملك الألمان الأمبراطور هنري السادس وكان قد ملك جزيرة صقلية ، وعرفوه بان المسلمين قد اشتغلوا بحرب بعضهم بعضا" فأقبل في مراكبه إلى عكا ، وخرج إلى بيروت فملكها من المسلمين ، وكان بها عز الدين أسامة . فعمرها الفرنج ولم تزل بأيديهم إلى ان فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة تسعين وستمائة (١٣٠). وقد ذكر انه :" بعد أن أمن عموري له قاعدة بحرية جرى فيها الاستعداد لتنفيذ الخطة. وهذه القاعدة البحرية الهامة هي جزيرة قبرص التي إشتراها جي دي لوزجنان ملك بيت المقدس سنة ١١٩٢ من ريتشارد قلب الأسد بعد الثورة التي قامت بها عقب بيعها لفرسان الداوية وبعد أن انتزعها من يد إسحاق كومنين البيزنطي الذي إستقل بها ، وسقطت مدينة بيروت دون قتال واستولى عليها عموري لوزجنان في التاسع من ذي الحجة سنة ٥٩٣ هـ. ٢٣ أكتوبر ١١٩٧ م. ووجد الصليبيون في داخلها مؤنا" كثيرة ولحوما" وخلافه .(١٣١) وقد يصادف تاريخ الهجوم عليها نفس تاريخ توقيع الهدنة القديمة المعقودة بين السلطان صلاح الدين وريتشارد من قبل .

ولا بد في هذه المرحلة من استقراء ودراسة الأسباب التي أدت إلى سقوط مدينة بيروت . ولعل السياسة الدفاعية التي انتهجها الملك العادل ، كانت سليمة من الوجهة النظرية. أما على صعيد التطبيق . فكانت سببا" بارزا" ورئيسيا" في سقوط المدينة . لأنه أمر بإخلاء مدينة بيروت وتدمير التحصينات ومهاجمة الصليبيين عند الاقتراب من المدينة وفعلا" سار

الملك العادل باتجاه بيروت لتخريبها حذرا" عليها من الإفرنج ، فتكفل له عاملها أسامة بحمايتها . وهنا وقع تعارض بين رأي العادل وأسامة أفشل الخطة العسكرية الموضوعة .

واغتنم البابا شالشينوس الثالث فرصة وفاة صلاح الدين ، فدعا أمراء أوروبا ليهتموا باسترجاع أورشليم .فلبى انريكوس ملك إلمانيا دعوته .. فتألب عسكر في إلمانيا وإيطاليا وساروا بحرا" إلى سوريا ، وأخذوا بعض المدن الساحلية التي كانت بيد المسيحيين منها اللاذقية وبيروت وصيدا. (١٣٢)

وثاني الأسباب ، التي أحدثتها ضخامة الجيش الصليبي وعدده للأمير أسامة . حيث وصل جمع عظيم من الافرنج إلى الساحل واستولوا على قلعة بيروت .(١٣٣) ومساء ٢٢ آب أحتلت بيروت دون مقاومة لأن الصليبيين أقبلوا بحدهم وحديدهم وأخذت الفرنج في هذه السنة بيروت سنة ٥٩٣ هـ. من نائبها عز الدين شامة_ أسامة _ من غير قتال ولا نزال . وبعد ان فر منها صاحبها عز الدين أسامة بجماعته واهله ، فلامه الناس على ذلك وعنفوه، ولما حاصر الفرنج حصن تمنين _ تبنين _ وسالوا صاحبه في تسليم الحصن بالأمان فقال بعض من فيه لصاحبه :

سلم الحصن ما عليك ملامه ما يلام الذي يروم السلامة

فعطاء الحصون من غير حرب سنة سنها ببيروت سآمة (١٣٤)

والسبب الثالث لسقوطها ان أسامة قرر ان يقوم بتدمير مدينة (بيروت) غير انه لم يبدأ إلا بعد فوات الأوان . فلما قدم إليها هنري بعساكره ، كشفوا ما حل بالأسوار من الدمار فتيسر لهم أن ينفذوا منها ، غير أن معظم المدينة ما زال صلبا" متماسكا" ، فلم يلبس أن تم إصلاحها، وتقرر بذل بيروت ليوحنا أبلين . (١٣٥)

والسبب الرابع والأبرز عدم تمكن الملك العادل من إمداد أسامة بالعون لانشغاله إذ ذاك بتهديم الحصون والثغور على الساحل السوري ، حيث أخذ العادل يافا بالسيف وهدمها . ويفصل إبن الأثير ذلك فيقول : رحل العادل والعسكر في ذي القعدة إلى مروج العيون وعزم على تخريب بيروت فسار إليها جمع من العساكر ، وهدموا سور المدينة ، سابع ذي الحجة . وشرعوا في تخريب دورها وتخريب القلعة . فمنعهم أسامة من ذلك وتكفل بحفظها وسار الفرنج تاسع ذي الحجة فوصلوا إلى بيروت . فلما قاربوها هرب منها أسامة وجميع من معه من المسلمين . فملكوها صفوا" عفوا" بغير حرب ولا قتال ، فكانت غنيمة باردة .(١٣٦) لكن القلعة الخارجة عن سور المدينة _ قلعة بيت مري _ قررت المواجهة ، وعندما ظهرت طلائع القوى الصليبية ٢٣ آب ، تركوا القلعة . وبقي الصليبيون في المدينة ١٤ يوما" ، بينما العادل قد دمر قلاع صيدا البرية والبحرية وخرب البلاد حول صور.(١٣٧)

أما الصليبيون الألمان فانهم فكروا عقب الاستيلاء على بيروت ٢٣ أكتوبر ١١٩٧م. / ٥٩٤ هـ. في الزحف للاستيلاء على بيت المقدس بقيادة عموري الثاني AMAURY II ملك قبرص وملك مملكة بيت المقدس الإسمية (١١٩٧ – ١٢٠٥ م .)

ولكن تبددت الحملة الألمانية في شهر فبراير ١١٩٨ م. ، وانتهت نهاية صامتة دون أن تحقق أثرا" يذكر في بلاد الشام إلا النجاح الجزئي في الاستيلاء على بيروت وصيدا (١٣٨). وكانت مدة استيلاء المسلمين على بيروت عشر سنين وشهر واحد وأحد عشرة يوما" . ورجع أمر الفرنج في بيروت إلى ما كانوا عليه .. وكانت القرايا التي حول بيروت مسلمون فأدوا الطاعة والخراج للفرنج .

وعقب مغادرة الصليبيين سواحل الشام، شرع عموري الثاني إجراء مفاوضات مع العادل انتهت بهدنة بين المسلمين والصليبيين في الرابع والعشرين من شعبان سنة ٥٩٤هـ. أول يوليو ١١٩٨م. وبمقتضاها الاعتراف بالوضع القائم الذي استقر منذ رحيل الفصائل الألمانية وأن تكون يافا للمسلمين وجبيل وبيروت للصليبيين واقتسام صيدا بين الطرفين. وتسهيل الإجراءات الخاصة بالحجاج النصارى.(١٤٠)

وقد اختلفت المصادر حول تحديد مدة الهدنة . فابوا الفدا يقول: إنها استقرت بينهم ثلاث سنين ، ومعه المؤرخ ابن واصل . وينفرد رنسيمان بانها خمس سنوات وثمانية أشهر . ويخرج البعض ، وأنا أميل إليه بأن مدة الهدنة أكثر من خمس سنوات، والدليل انه لم تتحدث المصادر عن تجديدها قبل عام(٦٠٠ هـ. / ١٢٠٤ م.) (١٤١)

وفي العام ١٢٠٥ م. توفي الملك عموري الثاني ، واصبح يوحنا أف ابلين JOHN OF IBLIN الوصي على وريثة العرش إيزابيلا . سيدا" لمدينة بيروت ، ووصيا" على مملكة بيت المقدس. وفي عهده استولى القبارصة على بعض قطع الأسطول المصري وأسر من فيها، فخرج العادل قاصدا" بلاد الشام ، بعد أن رفض يوحنا الوساطة لرد الأسرى بحجة عدم خضوع مملكة قبرص له. واتجه العادل إلى عكا فصالحه أهلها . ثم هاجم القلاع القريبة من طرابلس وقبل وصوله إلى بيروت طلب بوهمند الرابع ، أمير طرابلس ملتمسا" الصلح وسير إليه مالا" وثلاثمائة أسير وهدايا . فوافق العادل على عقد الصلح بعد أن ملت عساكره من طول القتال ونجت بيروت بسبب ذلك. (١٤٢) وظلت تحت الحكم الصليبي .

ونتيجة لخوف يداخل يوحنا سيد بيروت ، وهو على يقين بأن المسلمين سيعاودون الكرة لاستعادة المدينة . لجأ إلى سياسة تحصينها ، وسعى جاهدا" لتحقيق مشروعه بجمع المال اللازم . وتم له ذلك من أموال الصليبيين المتبرعين ومن ماله شخصيا".(١٤٣) وقد أمدنا شاهد عيان مر بالمدينة في العام ١٢١٢ م. ذكر :"يمنع البر ثغر بيروت من جهتها السفلى مع ما هنالك من الصخور العالية ، وتحجبها من الجهة الأخرى خنادق مبلطة تحت حراسة

سورين فيهما عدة أبراج غاية في الشدة ، تبطل كل الضربات التي يكيلها العدو . وكانت هذه الاستحكامات قد استوجبت أشغالا" طويلة ولا سيما ان نقوشها الداخلية بلغت النهاية في الحسن والإتقان "(١٤٤).

وحدث ان فريدريك الثاني أمبراطور ألمانيا ، الذي لم يف بعهده للبابا . بقيادة الحملة الصليبية الخامسة ــ المعروفة بالحملة الهنغارية ــ وأوكلت إلى الملك الهنغاري أندرو الثاني ANDRE II ١٢٠٥ ــ ١٢٣٥ م. بناء" على رغبة البابا انوسنت الثالث . ورافقه في الحملة ليوبولد السادس دوق أستريا .

وما ان وصل ليوبولد إلى عكا حتى أرسل سفارة إلى بوهمند الرابع ، امير طرابلس يدعوه للانضمام للحملة . ولبى بوهمند الدعوة مع أمراء السواحل الشامية، ومعهم يوحنا اف ابلين ، صاحب بيروت ١٢٠٥ ــ ١٢٣٦ م. الوصي السابق على عرش بيت المقدس الإسمية وابنه فيليب .(١٤٥)

وأسهم يوحنا سيد بيروت ، بدور فاعل . حيث اشترك مع ملوك السواحل كلهم في مهاجمة الملك العادل في بيسان عام ٦١٤ هـ. ١٢١٧ م. . واشترك في الدفاع عن قلعة الحجاج ــ عتليت ــ عندما حاصرها الملك المعظم في العام ٦١٧ هـ. ١٢٢٠م. مما اجبر المسلمين على الانسحاب من أمام القلعة .(١٤٦)

وجاءت الحملة الصليبية السادسة , وعلى رأسها الإمبراطور فريدريك الثاني ١١٩٤ ــ ١٢٥٠م . وهي من أغرب الحملات في عصر الحروب الصليبية . إلا أنها حققت أهدافا" لم تحققها الحملات السابقة .

ووصلت الحملة إلى ميناء ليماسول يوم ٢١ يوليو ١٢٢٨ م. ١٥ شعبان ٦٢٥ هـ. ولما وطئت قدماه أرض جزيرة قبرص ، التقاه خمسة من بارونات الشرق اللاتيني ، وبدأوا يزرعون بذور الفتنة بينه وبين آل ابلين . وعرفوه على أحوال الجزيرة ووصفوا له خيراتها وثرواتها ، وألبوه على آل إبلين .(١٤٧) الذين يعتبرون في تلك الحقبة من أقوى العائلات في قبرص وفلسطين .(١٤٨)

وأثمرت مثالبهم ، ووقع الإمبراطور في شباكهم وقرر القضاء على أسرة إبلين نهائيا". وبادر بتنفيذ خططه في هذا المنحى . فقام سنة ١٢٢٨م. / ٦٥٢ هـ. بدعوة حنا إبلين سيد بيروت لزيارة قبرص والقدوم مع أبنائه . على قاعدة التعارف والضيافة والتقارب الأسري . ولمزيد من الحيطة أقدم حنا ابلين على استشارة المقربين منه بشأن مرامي الأمبراطور من هذه الدعوى ونصحوا له وحذروه من قبولها . لقناعتهم أن فريدريك لا يؤمن جانبه ، ولا يؤخذ بميثاق . لما كان يعرف عنه من صفات الغدر . وأخطأ حنا حيث لم يأخذ بنصح مستشاريه ، وقرر تلبية الدعوة، ورحل قاصدا" قبرص . وعند اللقاء " طلب فريدريك إلى

يوحنا أن يتنازل عن إقطاع بيروت ، وعن الوصاية على الملك هنري ، وأن يسلم كل ما تحصل من موارد قبرص منذ وفاة الملك هيو ، فأجاب يوحنا أن اقطاع بيروت بذلته له أخته إيزابيلا ، وأنه سيدافع عن حقه فيه أمام المحكمة العليا لمملكة بيت المقدس والمختصة في الفصل في ذلك الأمر. (١٤٩) ويفهم من هذا الرد ان الباب أوصد أمام الأمبراطور فريدريك . وبات من المؤكد أن يتفجر الصراع العسكري بين الرجلين . وزاد من تصلب موقف سيد بيروت أن المحكمة اتخذت قرارا" باعتباره بارونا" كسائر بارونات قبرص ، مع كونه واحدا" من بارونات مملكة بيت المقدس . وطرأ ما زاد الموقف تعقيدا" أن معاهدة عقدت بين الإمبراطور فريدريك الثاني والسلطان الكامل في ٢٤ فبراير ١٢٢٩ م. ٢٨ ربيع الأول ٦٢٦ هـ. وعرفت بصلح يافا مدتها عشرة سنوات .ولم تدخل فيها بيروت . وتسلم الإمبراطور بموجبها بيت المقدس . وهذا الذي أثار غضب البابوية ، والداوية ، وبطرق بيت المقدس . وأشاع فريدريك انه سيقبض على حنا دي ابلين صاحب بيروت .(١٥٠)

وقد أدى موقف فريدريك إلى حدوث تطور خطير في الأوضاع السياسية في الجزيرة. كاد يؤدي إلى إمكانية حدوث مواجهة مسلحة بين أنصار الإمبراطور ومؤيدي آل ابلين.وغادر فريدريك المنزل الذي كان معدا" لإقامته. وأمضى ليله قرب أسطوله . وبعث إلى فلسطين يطلب إمداده بالقوات والمعدات . بينما لجأ حنا ابلين إلى قلعة الحب D IEU D'AMOUR بعد أن قام بإعدادها عسكريا" وتموينيا" لمواجهة أي حصار محتمل .(١٥١)

ووصلت القوات المساندة للإمبراطور، ونزلت في ميناء لارنكا القبرصي، وانضم إليها بوهمند الرابع ، وبرفقته ستون فارسا" وعدد من الجند ، الذين وصلوا إلى ميناء فاماجوستا (١٥٢) ، و قد دفعت أنباء مهاجمة البابا ممتلكات الامبراطور في ايطاليا الى الاسراع بعقد اتفاق مع سيد بيروت رعاه بوهمند الرابع ورؤساء الهيئات العسكرية . ومن الجائز أن يكون قبول حنا الصلح مرغما" ، لتخوفه من أن تنسب إليه تهمة تعطيل مهمة الإمبراطور قائد الحملة الصليبية . أما أهم النتائج التي تضمنها الاتفاق فهي قسم نبلاء المملكة يمين الولاء للإمبراطور ، والاعتراف به سيدا" إقطاعيا" على الملك هنري . كما وافقوا على أن تكون له الوصية على الملك القاصر . أما دخل الجزيرة فهو له طوال مدة الوصاية . كما يقدم سيد بيروت المساعدة العسكرية للحملة مقابل الاعتراف به سيدا" على بيروت . وتدليلا" على التزامه بذلك أرسل له رهائن . إلا أن النبلاء الذين امتلكوا إقطاعات ضمن أراضي بيت المقدس الاسمية ، اضطروا إلى أداء يمين التبعية الإقطاعية للإمبراطور (١٥٣).

وقد شهدت الأيام التي أعقبت مغادرة الإمبراطور فريدريك إلى بلاده، إضطرابا" في صفوف الصليبيين في جزيرة قبرص وبلاد الشام ، حيث قام البارونات الأوصياء ، وعلى رأسهم عموري بارلي ، بملاحقة آل ابلين لطرد ما تبقى منهم في الجزيرة .(١٥٤)

وكان قد لجأ أحد أفراد هذه الأسرة إلى الاستنجاد بالسيد حنا إبلين الموجود في عكا . في حين يذكر البعض أن الذي استنجد به فيليب دونوفارا ، الذي رفض التعاون مع البارونات، فهاجموا منزله وقتلوا أحد رجاله. فالتجأ إلى فرسان الاسبتارية . وسارع حنا إبلين بإرسال قوات رست في مرفأ جاستريا GASTARIA . وزحفت حتى وصلت قرب العاصمة نيقوسيا . وجرت معركة بينها وبين قوات البارونات يوم ١٤ يوليو ١٢٢٩ م. وكان النصر حليفها . والتي لعبت فيها فرقة الفرسان بقيادة باليان ابن سيد بيروت دورا" بارزا", مع السكان الذين اثقلت كاهلهم الضرائب الباهظة . وهرب البارونات في ذات اليوم إلى قلعة إله الحب باستثناء جوفان دو شونبثي الذي التجأ إلى القنطرة الواقعة شمال شرق جزيرة قبرص .. ودام حصار قلعة إله الحب والقنطرة حوالي سنة . حيث لم تستسلم حاميتها إلا في أواخر فصل الربيع سنة ١٢٣٠ م. بعد أن اضطروا لأكل الخيل والحمير . (١٥٥) وحلت الهزيمة بالأوصياء وتم القضاء على حركتهم نهائيا" في صيف ١٢٣٠ م. ٦٢٩ هـ.

وهكذا تولى سيد بيروت حنا دي برين الوصاية على عرش قبرص والإشراف على حكومتها حتى بلوغ حنا الأول لوز جنان سن الرشد سنة ١٢٣٢ م. (١٥٦)

ولم يقف الإمبراطور موقف المتفرج إزاء ما آلت إليه الحال في قبرص ، وبروز عائلة إبلين بهذا الشكل فكان طبيعيا" أن يكون رده " بأنه أرسل قوة قوامها ستمائة فارس وسبعمائة من المشاة ، فضلا" عن ثلاثة آلاف من البحارة ، تحت قيادة مارشاله ريتشارد فلانجري RICHARD FILANGIERI في أواخر عام ١٢٣١ م. /٦٢٩ هـ. وقد أخذ حنا ابلين علما" بقدوم هذه القوة من عميل كان يعمل على إحدى السفن التابعة للتيوتون . فجمع قواته الموجودة في بيروت وتوجه إلى قبرص ... بينما توجه ابنه باليان مع الجزء الأكبر من الجيش إلى ليماسول التي وصلها في الوقت نفسه . (١٥٧) ولما تعذر نزول الجيش الإمبراطوري إلى جزيرة قبرص ، بسبب الاستعدادات التي أخذها حنا دي ابلين ، اتجه فلاندري إلى بيروت رأسا" ، فاستولى على المدينة في سهولة وترك جزءا" من قواته لمحاصرة قلعتها في حين زحف هو على صيدا وصور وعكا فاحتلها جميعا" ووقف إلى جانبه التيوتون والبيازنة .(١٥٨)

واعتبر البارونات ان هذا العمل في حد ذاته أمرا" خطيرا" ، إذ انه وفقا" لقوانين مملكة بيت المقدس ، يتحتم على الملك أن يقيم في عاصمة ملكه ، فإذا تغيب جعل مكانه نائبا" عنه . وتعقد الموقف حين اتخذ نائب فريدريك التدابير ضد حنا إبلين دون أن يحصل من المحكمة العليا على ما يجيز له ذلك. فتألفت في عكا طائفة اشتهرت باسم طائفة القديس أدريان ، لم تلبث برغم انتمائها انها ترجع إلى أصل ديني . وأضحت تمثل المعارضة السياسية لفريدريك، كما يدل على ذلك قبولها عضوية الثائر حنا إبلين.(١٥٩)

وتتجلى عبقرية ريتشارد بإحكام خطته العسكرية وتوجيهها نحو بيروت لأنها تمثل بؤرة الثقل لآل أبلين. معتمدا" على جماعة التيوتون الذي غاب عن ذهن سيد بيروت مدى ارتباطهم بالأمبراطور فريدريك تم موقف البيازنة المساند بحكم الارتباطات التجارية مع الإمبراطور .

إزاء هذا الواقع اندفع حنا دي إبلين من قبرص إلى الشام لمواجهة ما يجري " فأنزل قواته جنوب طرابلس في أواخر فبراير ١٢٣١ م. ثم زحف على بيروت واستولى عليها بمساعدة عدد كبير من نبلاء الأراضي المقدسة والجنوية واسطولهم . (١٦٠)

واتفق مع بعض المراجع في أسباب سقوط بيروت بهذه السهولة ، حيث أورد البعض أن سوء توزيع الحاميات العسكرية وتشتيتها أديا إلى أضعاف حامية بيروت . التي لو كانت حاميتها قوية لمنعت سقوطها ودخول صاحبها إليها .(١٦١)

أمام هذه الانتصارات التي حققها سيد بيروت ، أعيد انتخابه لقومون عكا ١٢٣٥ م. وأضحى الحاكم الفعلي لمملكة بيت المقدس دون منازع .

وبعد نجاح آل ابلين في استرداد بيروت وطرد الإمبراطوريين منها . استطاع قادة هؤلاء تجميع فلول المنهزمين . حيث واجهوا آل ابلين عند قلعة امبرت في ٣ مايو ١٢٣٢ م. ١١ رجب ٦٢٩ هـ. وانتصروا عليهم . ولم يكن هذا النصر هزيمة ساحقة لآل ابلين ، حيث بقيت عزيمتهم قوية ورغبتهم في القتال قائمة . وعاد الصراع إلى قبرص من جديد .حيث لقي الإمبراطوريون هزيمتهم في معركة أجريدي AGRIDI الملاصقة لقلعة إله الحب في ١٥ يونيو ١٢٣٢م. ٢٤ شعبان ٦٢٩هـ.(١٦٢)

وهكذا دانت السيطرة لآل ابلين على أكثر الأراضي الصليبية وغادر الماريشال ريشارد عكا وهرب إلى مدينة صور . التي دخلتها قوات آل ابلين يوم الجمعة ١٢ يونيو ١٢٤٣ م. بعد مغادرته متوجها" إلى صقلية . ومن سوء طالعه واجهه إعصار في البحر دمر سفينته وألقاه هو ورفاقه على شاطئ طرابلس الغرب . ومن هناك استقل سفينة كانت في طريقها إلى الإسكندرية ، فقابلتها عواصف أخرى جعلتها تحيد عن خط سيرها وتقترب من شاطئ بلاد الشام، فاقترح عليهم ريتشارد فيلا نجيبري الذي كان يجهل ما تجدد من حوادث منذ مغادرته صور أن يتجهوا إليها ففعلوا . ولما رسوا في الميناء ، هبط المندوب الإمبراطوري من السفينة دون أن يدري انه يسير بإرادته إلى قلب معسكر أعدائه ، وما أن مشى في شوارع المدينة حتى تعرف عليه العامة ، فألقوا القبض عليه وسلموه لصاحب بيروت باليان إبلين . (١٦٣)

والواقع أن سيد بيروت الشيخ (يوحنا ابلين) المتوفى سنة ١٢٣٩ م. كما نعته معاصروه ، يعتبر أكبر شخصية في الشرق الفرنجي . اشتهر بالشجاعة ، والشرف

والاستقامة. وقد أوصى قبل موته بالإمرة لابنه البكر باليان الثالث، الذي سار على خطى أبيه " فاجتمع مع أمراء الفرنج لمحاربة من بقي في صور من حزب الألمان في شهر تموز سنة ١٢٤٣ م. فأباد ذكرهم وقد اختاره الأمراء كندسطبلا" لمملكة قبرس.(١٦٤)

وفي الفترة التي سبقت العام ١٢٤٤م. كان الصراع بين الصليبيين أنفسهم على أشده وبخاصة بين الداوية ، والاسبتارية ، والتيوتون . حول ما يجب اتباعه من سياسة مع المسلمين . مما دفع الملك الصالح نجم الدين أيوب إلي الاستعانة بالخوارزمية عام ١٢٤٤م. / ٦٤٢ هـ. الذين كانت جموعهم مبعثرة في أطراف العراق والجزيرة (١٦٥). لنصرته على عمه الصالح إسماعيل .

ولما وردت كتب الملك الصالح نجم الدين إلى الخوارزمية يحثهم على القدوم. ساروا من الشرق في أوائل هذه السنة وقطعوا الفرات وهاجموا القدس وبذلوا السيف فيمن كان فيه من النصارى ولم يبقوا على أحد منهم وسبوا ذراريهم ونساءهم .(١٦٦) ووصل إلى الخوارزمية عدة كثيرة من العساكر المصرية ، وأرسل الصالح إسماعيل عسكر دمشق مع الملك منصور صاحب حمص ، وأتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك ودخلوا عكا، واستدعوا الفرنجة على ما كان وقع عليه اتفاقهم ووعدهم بجزء من الأراضي المصرية ، وكان أعطاهم الصالح إسماعيل حرم القدس والشقيف ـ شقيف ارنون ـ .وخرجت الفرنج بالفارس والراجل.(١٦٧)

والتقى الخوارزمية ومعهم عسكر مصر . مع الفرنجة والصالح إسماعيل . ودارت بين الفريقين حرب شديدة. فانكسر الملك منصور إسماعيل .. وأحاط الخوارزمية بالفرنج بظاهر غزة." ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلا" وأسرا" ، ولم يفلت منهم إلا من شرد." وأسر من الصليبيين ثمانمائة رجل وقتل منهم ، ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين الفا"(١٦٨)

وحكي عن الملك المنصور انه قال" والله لقد حضرت الحرب ذلك اليوم ، وأوقع الله تعالى في قلبي إنا لا ننتصر لانتصارنا بالكفار على المسلمين (١٦٩) "وقد عدت هذه الهزيمة أكبر كارثة حلت بالصليبيين منذ حطين سنة ١١٨٧م. وأطلق المؤرخون على تلك الموقعة اسم " حطين الثانية ".(١٧٠)

وقد دفعت هذه الضربة الموجعة للقوى الصليبية الكنيسة إلى الاستعانة بالغرب الصليبي لغوث بلاد الشام . ففي ٢٧ نوفمبر ١٢٤٤ م./ ٦٤٢ هـ. أبحر من عكا جاليران Walleran أسقف بيروت ، كيما ينهي إلى أمراء الغرب ـ في أوروبا ـ بالنيابة عن روبرت بطريرك بيت المقدس أنه لا بد من إرسال إمداد ، حتى لا تتعرض المملكة بأسرها للفناء.(١٧١)

وتوفيت اليس دو شامباني سيدة صور ، ونائبة الملك كونراد على مملكة بيت المقدس في العام ١٢٤٦م. وكانت على علاقة طيبة مع آل ابلين . فبرزت مشكلة وراثتها على الفور . فحسم البابا الأمر بتفويض أسقف توسكولوم درس الموضوع وأخذ القرار . وكلف هذا الأخير السيد باليان إبلين ، صاحب بيروت بإدارة شؤونها . ويبدو ان باليان هذا كان من أكفأ النبلاء دراية بالقانون الإقطاعي المفروض على مملكة بيت المقدس الإسمية . ولا غرابة في ذلك لأنه الابن الأكبر للزعيم السابق لحزب ابلين ، أعني به حنا ابلين الكبير، الذي لم تسمح له الظروف باختبار قدرته على إدارة شؤون المملكة وتوحيد قواها . إذ انه توفي يوم الأربعاء ٤ سبتمبر ١٢٤٧م. وخلفه في وظيفته حنا إبلين الصغير، صاحب أرسوف . (١٧٢)

وبعد الانتصار الذي حققه الظاهر بيبرس في عين جالوت ١٢٦٠ م./ ٦٥٩ هـ. أصبح المماليك هم القوة المؤثرة في الشرق والتي استطاعت أن تحمي كيان بلاد الشام من الخطر المغولي . وتعجلت هذه الوقعة بزوال الإمارات الصليبية في الشام . وساهمت في استئصال شأفة الصليبيين من سوريا.(١٧٣)

أسرعت القوى الصليبية نتيجة لذلك إلى طلب الهدنة مع السلطان المملوكي على أساس مبدأ المناصفة أو المشاركة في غلات بلادهم ومنتجاتهم .(١٧٤)

وفي هذه الأثناء اضطر يوحنا الثاني صاحب بيروت إلى التنازل عن قلعة أمبزت أو همبرت ، وتسمى أحيانا" قلعة الزيب ZIPH ، على بعد ١٤ كيلومتر شمال عكا على ساحل البحر . والتي كان أجرها مع أملاك أخرى إلى الجماعة الألمانية ، مقابل أحد عشر ألف بيزنط . وذلك لكي يدفع فدية إطلاق سراحه بعد أن وقع أسيرا" مع عدد من قادة المملكة ، وفرسان الداوية في قبضة التركمان . كما حصلت أيضا" الداوية في نفس الشهر على برج أحميد (برج حمود) ، في جبل بيروت مع بعض القرى والأملاك الأخرى الواقعة بين نهر الدامور وفرعه الجابون ، بالإضافة إلى مساحة من الأرض إلى جانب النهر السابق وذلك مقابل خمسة آلاف بيزنط .(١٧٥)

وقد تشابكت الأمور بين القوى الفاعلة ، المماليك ، والصليبيين ،والمغول الذين لم يكن في نيتهم فتح جبهتين في آن . فالعدو المستهدف هم المماليك ، شريطة أن تقدم مملكة بيت المقدس لهم الولاء والطاعة إلا أن ما فعله سيد بيروت أفسد العلاقة بين المغول والصليبيين فكانت إغارة يوحنا الثاني JEAN II سيد بيروت والداوية على الجليل في فلسطين ، ومعه أمراءه من بيروت / وأمراء من جبيل ، حيث لقي من القوات المغولية الإضافية معاملة بالغة الصرامة.(١٧٦)

ولم يكن الصواب يحالف بعض الباحثين عندما ذكر أن الظاهر بيبرس رفض المهادنة مع الصليبيين ، فقد كان الفرنج بعكا يأملون في أن ما بذلوه من مودة وصداقة للمماليك زمن

حملة عين جالوت سوف يحفظهم من كل عداوة من قبلهم . غير أنه حينما توجه إلى معسكر بيبرس ، يوحنا كونت يافا ، ويوحنا سيد بيروت ، في أواخر سنة ١٢٦١ كيما يحاولان التفاوض في عودة أسرى الفرنج الذين وقعوا في أيدي المسلمين في السنوات الأخيرة ، وفي استيفاء الوعد الذي بذله السلطان أيبك بإعادة رزين في الجليل إليهم ، أو دفع تعويض عنها ، رفض بيبرس أن يستمع إليهما ما كان يبدو من ميله إلى يوحنا كونت يافا، بل إنه عوضاً" عن ذلك أمر بإرسال جميع الأسرى إلى معسكرات العمل .(١٧٧)

ويوضح بعض المصادر إنه جاءت الرسل من جهة جوان دلين كند يافا ، وغيره من الفرنج الذين بالسواحل ، ومن ضمنهم رسول من بيروت في حضوره إلى الأبواب الشريفة . فأذن لكند يافا المذكور فحضر ، فأكرمه السلطان وأقبل عليه وأجاب سؤاله ، ورسم بتقرير لهدنة له ، ولصاحب بيروت على حكم القاعدة التي كانت مقررة في الأيام الناصرية . وكتب له منشوراً" بما في يده من البلاد ، وعاد وكثرت الأجلاب ، وأمنت السبل ، وترددت التجار ، وسلكت السفار ، واندفعت عن أهل السواحل المضار.(١٧٨)

ولعل من أطرف هذه الاتفاقات التي أبرمت بين السلطان بيبرس ، وبين ملكة بيروت إيزابيلا ISABELLA . ابنة الملك جون الثاني إبليـنJOHN II IBLIN (١٢٦٤ / ١٢٨٠ م.). التي تطلق عليها المراجع العربية ــ الدبونة ــ وهو تعريب لاسم البيت الحاكم في بيروت D'IBLIN . هذه الأميرة التي خلفت أباها بعد وفاته سنة ١٢٦٤ م على مدينة بيروت والجبال المحيطة بها باعتبارها البنت الكبرى له . اضطرت إلى إبرام معاهدة جديدة مع السلطان لأن أخاها غدر بمركب الأتابك فيه جماعة من التجار كانوا متوجهين إلى قبرص . فطالبهم السلطان بمال التجار ، فالتزموا به والتزموا إطلاق التجار وتقرر الصلح .(١٧٩)

ويذكر القلقشندي تفصيلاً" لهذا الصلح فيقول: أنه سنة سبع وستين وستمائة ، استقرت الهدنة المباركة بين السلطان الملك الظاهر ركن الدين ــ بيبرس ــ وبين الملكة الجليلة المصونة الفاخرة . مالكة بيروت وجميع جبالها وبلادها التحتية مدة عشر سنين متوالية، على بيروت وأعمالها المقامة عليها ، الجاري عادتهم في التصرف فيها أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وأيام ولده المعظم عيسى ، وأيام الملك الناصر صلاح الدين بن يوسف بن الملك العزيز . وذلك مدينة بيروت وأماكنها المضافة إليها من حد جبيل إلى حد صيدا . وهي المواضع الآتي ذكرها ، جونية بحدودها، وانطلياس بحدودها ، والدكوانة وبرج قراجار بحدودها ، وقرينة بحدودها . والنصرانية ــ يعني الناصرة ــ بحدودها وجلد ــ خلدا ــ بحدودها ورأس الفيقة ، والوطاء ــ وطى المصيطبة ــ وجميع ما في هذه الأماكن من الرعايا والتجار . (١٨٠)

وللقلقشندي الفضل في التحدث عن أحياء بيروت وتوابعها ، وأسماء حاراتها بشكل لم يسبقه إليه مصدر آخر وقد رسم حدود المدينة الممتدة من نهر الكلب شمالا" حتى نهر الدامور جنوبا" بأدق تفصيلاتها.

وكانت هذه الملكة قد وهبت نفسها مع إقطاعها إلى سيد إنكليزي يدعى هـامو HAMO L'ESTRANGE أي هامو الأجنبي . ولما كان هذا الزوج لا يثق بنوايا هيو ملك قبرص فأوصى قبل وفاته بوضع زوجته ومملكة بيروت تحت حماية السلطان بيبرس وذلك خشية مطامع هيو الثالث . وصارت ملكة بيروت كلما سافرت إلى قبرص تذهب إلى لقـاء السـلطان الظـاهر بيبرس وتترك مملكتها وديعة بين يديه إلى أن تعود . (١٨١)

ولما علم هيو بهذه الوصية ، أقدم على اختطاف الملكة، وكانت منه محاولة جريئـة ، ليزوجها في قبرص من شخص يختاره لها ، ليستغل هذا الزواج لتنفيذ مشاريعه الصليبية فـي الشرق . فبادر السلطان الظاهر بيبرس إلى الرجوع للعهد الذي كتبه له هامو ـ زوج الملكـة المتوفى ـ وهدده ، وطلب إليه إعادة المكلة إيزابيلا . وإلا سينفذ الوصية بالقوة . وقد سـاعده قرار المحكمة العليا في مملكة بيت المقدس المناهض لموقف هامو . أمام هذه المواقف أضطر هيو أن يطلق سراح الملكة ويعيدها إلى بيروت مرغما". وبعودتها اتخذت لنفسها حرسا" مـن المماليك لحمايتها خلال فترة حكمها.(١٨٢)

وتزوجت إيزابيلا مرتين بعد هامو بملء إرادتها حتى تتحاشى الصدام من جديد مـع هيو حول موضوع الزواج . وانتقلت إمارة بيروت بعد وفاتها إلى يد أختها أشـيفا ECHIVE ، زوجة همغري سيد مونتفرت HUMEREY DE MONFORT . وورثته حقوقها على بيروت .

وتوفي الملك الظاهر ركن الدين بيبرس يوم الخميس ثامن عشر من محرم سنة ٦٧٦ هـ ـ ١٢٧٧م. ويقول فيه البعض : إن السلطان بيبرس يعد من أبرز سـلاطين الممـاليك الذين سددوا إلى بقايا الصليبيين بالشام الضربات الأخيرة القاضيـة .. وبرغـم أن حصـون الفرسان الداوية والاسبتارية كانت بمثابة المتراس للدولة الصليبية في بلاد الشـام، إلا انـهم عجزوا عن الصمود ضد ضربات الظاهر بيبرس المتتالية .(١٨٣) ويقول إبن خلكـان: كـان ملكا" عالي الهمة شديد البأس لم نر في هذا الزمان ملكا" مثله في عزمه وهمته وسعادته وفتـح من حصون الفرنج والاسماعيلية ما أعيا من تقدمه من ملوك الإسلام.(١٨٤)

وجددت المعاهدة بين السلطان قلاوون وقومون عكا وداوية عثليث وصيدا غـير إنـه تقرر إستبعاد صور وبيروت من عقد الهدنة ومما جاء فيها : إنني أفي بحفظ الهدنة المباركة، التي استقرت بيني وبين مملكة عكا ، والمقدمين بها على عكا وعثليث وصيدا وبلادها ، التي تضمنتها هذه الهدنة التي مدتها عشرة ـ عشر ـ سنين ، وعشرة أشهر ، وعشـرة أيـام ،

وعشرة ـ عشر ـ ساعات، أولها يوم الخميس شهر ربيع الأول اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة الموافق له ٣ يونيو ١٢٨٣ م. من أولها إلى آخرها (١٨٥)

ولما سمعت سيدة بيروت بأنباء هذه المعاهدة، وباستثناء بيروت منها، خافت فأسرعت تطلب تجديد الهدنة التي سبق وعقدتها أختها إيزابيلا من قبل . ووافق السلطان وكانت الموافقة ضرورية ، ليتفرغ لمهاجمة حصن المرقب التابع لفرسان الاسبتارية الذين دأبوا على التحالف مع المغول ومهاجمة المسلمين. (١٨٦)

ومات همفري زوج أشيفا في شهر فبراير ١٢٨٣ م. فتزوجت أرملته بعد فترة من جاي أصغر أبناء الملك هيو ـ عدو الأمس ـ وتوج ابنه الأكبر يوحنا ملكا" على قبرص . ولم يعترف البر السوري بسلطته ، عدا صور وبيروت . لكنه توفي بعد عام واحد سنة ١٢٨٥م. وجدد السلطان المملوكي المعاهدة مع الملك هنري الثاني ، بعد سقوط إمارة طرابلس واختفائها نهائيا"، لمدة عشر سنوات في أواخر أبريل سنة ١٢٨٩ م. كذلك عقد السلطان قلاوون معاهدة مع الجنوية في ١٤ مايو ١٢٩٠م. ـ ٥ جمادى آخر ٦٨٩هـ. وازدهرت التجارة بمقتضى هاتين المعاهدتين . وانتظمت حركة القوافل بين دمشق وبيروت (١٨٧)

وبعد أن قويت شوكة الجيش المملوكي في غمرة كفاح الخطر الصليبي لم يعد يطيق جوار أولئك الصليبيين الذين سمحوا لهم الأيوبيون بالبقاء فقرر السلطان البدء بسياسة التطهير الكامل للعرق الصليبي بأسره . وبقيت مدينة عكا ، التي هي واسطة العقد بين المدن الصليبية، وسقوطها بيد المسلمين مؤداه بالضرورة إلى تساقط المدن الصليبية الواحدة تلو الأخرى وخصوصا" المناطق الواقعة في دائرة نفوذها ولا سيما الخط الساحلي الممتد من بيروت إلى صور . لذلك ليس من باب الصدفة أن يصبح تحرير عكا الشغل الشاغل للسلطان قلاوون بعيد إستيلائه على صيدا. (١٨٨)

ولما تأكد السلطان من غدر الفرنج بعكا ، وما اعتمدوه من قتل المسلمين فيها ونهب أموالهم بادر بالتخطيط لاقتلاع جذور الصليبيين من بلاد الشام. واستنفر للجهاد . ففرق الأموال وجمع الجند واستخدم جماعة كبيرة من حجارين وصناع من الحدادين والنجارين ونفقت الأموال في الجميع ، وكتب إلى جميع البلاد الشامية بإخراج المجانيق والآلات والعدد والأسلحة.. ولما تجهزت الأسباب قضى السلطان نحبه وتسلم عرش السلطنة ولده السلطان الملك الأشرف خليل سنة ٦٨٩ هـ. ١٢٩٠م. (١٨٩) الذي سار على خطى والده للقضاء على المعاقل الصليبية بادئا" بعكا . فحاصرها وأخذها بحول الله وقوته من غير منازع .يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٦٩٠ هـ. ١٨ مايو ١٢٩١م. واستنزل السلطان جمعا" عظيما" تحصن فيها وأمر بضرب أعناقهم عن آخرهم. ثم أمر بالمدينة

فهدمت إلى الأرض ودكها دكا". (١٩٠) فألقى الله الرعب في قلوب الفرنج بالساحل الشامي وبخاصة بيروت الجيب الضعيف. فأخلوا صور وصيدا من غير قتال . وتأخرت قلعة صيدا (١٩١). وعندما فرغ الأمير سنجر الشجاعي من خرابها . توجه على خيل البريد إلى دمشق ، فالتقى السلطان فأعطاه نيابة الشام ورسم له أن يعود إلى بيروت ، فلما وصلها كان سكانها يأملون في ان المعاهدة التي انعقدت بين سيدتها وبين السلطان سوف تحفظهم من كل اعتداء. فتلقاه أهلها طائعين فنزل بقلعتها .(١٩٢) وطلب من سكانها أن ينقلوا أولادهم وحريمهم وأثقالهم إلى القلعة ففعلوا وظنوه شفقة عليهم ، وهي في الحقيقة خدعة .. فلما صاروا بالقلعة قبض على الرجال وقيدهم ، وألقاهم في الخندق وذلك في نهار الأحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستماية. ثم شرع في هدم بيروت وقلعتها ، وكانت محكمة البناء . ثم جهز سنجر الشجاعي أهل بيروت إلى دمشق.ومنها أنفذهم إلى مصر بأجمعهم فهلك منهم المشايخ والعجائز والنساء. ولما وصلوا إلى مصر أطلقهم السلطان وقال أماني باقي ــ باق ــ عليكم وخيرهم بين العود إلى بيروت أو التوجه إلى قبرص. فتوجهوا إلى قبرص بأجمعهم فكان مدة استيلاء الفرنج على بيروت خمس ــ خمسا" ــ وتسعين سنة وسبعة أشهر وثلث ــ ثلاثة ــ عشر يوما" .(١٩٣)

ويعد العمل الذي قام به القائد سنجر تجاه سكان بيروت ، مرده موقف هؤلاء القوم من إمارة الغرب ــ التنوخية ــ الحليف الطبيعي للماليك ، وتخيير السلطان الأشرف لهؤلاء المبعدين بين قبرص والعودة إلى بيروت المهدمة. إنما ينسجم تماما" مع موقف وآراء سنجر بدليل انه لم يوجه لقائده أية إنتقادات على فعلته ويطابق هذا الموقف ما أورده البعض من أن أهل بيروت إنما عاملوا أمراء الغرب معاملة قاسية وسيئة وهم الذين يسكنون بالقرب منهم حتى أوقفوهم وقتلوا أكثرهم غدرا" . هذا الذي دفع سنجر الشجاعي لأخذها، وأسر أهلها مكافأة عما فعلوا بأمراء الغرب . (١٩٤) وثمة مكافأة من السلطان الأشرف خليل أن رد على أمراء الغرب إقطاعاتهم وعهد إليهم بحراسة بيروت وشواطئها .(١٩٥)

وبدخول الجيش المملوكي بيروت يوم ٣١ يوليو ١٢٩١ م. لم يبق على الساحل الشامي قلعة ولا بلد ولا قرية ولا جزيرة إلا وملك المسلمون جميعه . وقام الجيش داخل بيروت فهدم الأسوار، وحطم قلاع أسرة إبلين وحول كاتدرائيتها إلى مسجد وخلى الساحل بجملته من عباد الصليب .(١٩٦)

يقول صالح بن يحيى " لما قدر الله بنزع الفرنج من بيروت إستقرت الكنيسة جامعا" وكانت عند الفرنج تعرف بكنيسة مار يحنا ، فشرفها الله تعالى وصارت جامعا" ، وكانت بها صور طرشوا عليها المسلمون بالطين وبقي إلى أيام الجد فبيضه وأزال عنه الوضر من آثار تلك الصور.(١٩٧)

ومما لا شك فيه أن السلطان الأشرف خليل بن قـــلاوون ٦٨٩ ــ ٦٩٣ هـــ/ ١٢٩ ــ ١٢٩٣ م. هو بطل آخر صفحات الحروب الصليبية بأرض الشام والأرض المقدســـة .(١٩٨) وإليه يرجع الفضل في القضاء على الجماعات الدينية ، الإسبتارية ،والداويـــــة ، والجماعــة الألمانية ــ التيوتون ــ الذين فقدوا ما تبقى لهم من أملاك في هذه المناطق . وهكـــذا خلــت سواحل الشام من الفرنجة عامة ومن الجماعات الرهبانية العسكرية بعد أن اغتصبوها حوالـــي قرنين من الزمان .(١٩٩) وطويت ملحمة الحروب الصليبية وهي بلا شك من أعظم ملاحـــم التاريخ وأطولها.استمرت وقائعها مدة تقارب القرنين من الزمن واشتركت فيها أوروبا كلـــها بشعوبها وطاقاتها . (٢٠٠) وجلا الفرنج نهائيا" عن سوريا ولم يتركوا وراءهم سوى خرائــب قلاعهم ، لتكون حتى اليوم شاهدا" على ما أشعلوه من حروب صليبية وعلى مملكة شيدوها ثم أضاعوها .(٢٠١) وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للإسلام. وكان أمرا" لا يطمع فيه ولا يرام وتطهر الشام والسواحل من الفرنج .(٢٠٢)

المصادر والمراجع

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، طبعة القاهرة ، ج٤ ص ٣٩٦ . / كتاب دائرة المعارف : بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت ج٥ ص ٧٤٤ ./ طه الولي : بيروت في التاريخ والحضارة والعمران ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى، بيروت ص ١٣ ، ١٤. IN HISTORY NEW (٢)

HITTI .P.K LEBANON YORK 1956 , PORTER H THE HISTORY OF BEIRUT BEIRUT 1912 /

الحميري (محمد عبد المنعم) ت ٨٦٦ هـــ ١٤٦١ م الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٥ ص ١٦٣ ، ٢٤١ (٣)ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمـــد) ت ٦٨١ هـــ ١٢٨٢ م : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨ ج ٣ ص ١٢٨ . (٤) ياقوت الحموي (شهاب الدين) ت ٦٢٦هـــ ـــ ١٢٢٩ م: معجم البلدان دار صادر ، بيروت ١٣٧٤ م ص ٥٢٥ . / صالح ابن يحيى : تاريخ بيروت ، تحقيق اليسوعي والصليبي ، دار المشـــرق ، بيروت ١٩٦٧ م ص٨ . (٥) ابن شداد (عز الدين) ت ٦٨٤ هـــ ١٢٨٥ م : الأعلاق الخطيرة في ذكـــر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ج ٢ ص١٩) / عمـــر توفيـــق : مقدمـــات العـــدوان الصليبي على الشرق العربي . الطبعة الثانية . الاسكندرية ١٩٦٧ ص ١٨٣

(6) WILLERMI TYRENSIS , RECUEIL DE HISTORIENS DES CROISADES ARCHIEPISOPI HISTORE LIBRER DUDE SIMIS SEC IMPRESSION PRINTED EN ENGLAND 1969 CH. 13 , P 474

(7) DUSSAUD TOPO GRAPHIE HISTORIQUE DE LA SYRIE ET MEDIVAL PARIS 1972 , PP58 , 59/ CHEHABE . ED. DINE , S, GEOGRAPHIE HIMAINE DE BEYROUTH , BEYROUTH 1960 P 56 ENCYCLOPEDIA , BRITANICA 15 THE ET DITION 1977 VOL Π P 815

(٨) ميشيل سليم :سحر لبنان ، دار المعارف ، ص ١٩ ، ٢٠ ENSYSLOPEDIE BRITAINAVOL , P 815

(٩) ميخائيل زابوروف : الصليبيون في الشرق ، ترجمة الياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨٦ ص ٢٤

(١٠) اسطفان الدويهي : تاريخ الأزمنة ، تحقيق بطرس فهد ، منشورات لحد خاطر ، الطبعة الثالثة ، بيروت ص ٨٢ . (١١) فؤاد البستاني : مباحث علمية واجتماعية ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بـيروت ١٩٦٩ ص ٣٠٨ . / السيد أحمد زيني دحلان : الفتوحات الإسلامية ، المكتبة التجارية الكـبرى ، القـاهرة ١٣٥٤ ج ٢ ص ٣٠٢ ./ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فـــي مصـــر ، التـــاريخ السياســـي ، دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٤٤٨ . (١٢) سعيد عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فـــي العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٩١ ص ٨٦ VASILIEV .BRODIN HISTORE OF THE BIZANTINA EMPIRE 2VOLES MADISON 1961 P 402 .

(١٣) محمود سعيد عمران : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨١ ص ٢٦٧

(١٤) كلود كاهين : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة بدر الدين القاسم ، دار الحقيقـــة ، الطبعـــة الثانيـــة ، بيروت ١٩٧٧ ص ٢٤٨ ./ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة فارس والبعلبكي دار العلـــم للملايين الطبعة السابعة ، بيروت ١٩٧٧ ص ٣٤٦ SETTON (K.H) A HISTORY OF THE CRUSADE P 316 ./ WILLERMI TYRENSIS ARCHIEPISCOPI HISTORY 2 VOLS PENNSYLVANIA 1958 LIBER QUARTUS RECUEIL DES HISTORIENS DES CROISADES HISTORIENS OCCIDENTAUX T.1 PRE . PARTIE , SECOND IMPRESSIONN 1969 PRINTED IN ENGLAND P. 316 .

(١٥) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، الحروب الصليبية الأولى، دار النهضة العربيـــة ، بيروت ١٩٨١ ص ٢٤٢

(١٦) ابن العديم (كمال الدين) ت ٦٦٠هـ ـــ ١٢٦٢م زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية ١٩٥٤ ج ٢ ص ١٣٥ . (١٧) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ، بـيروت ١٩٦٨ ج ٢ ص ٢٦ (١٨) سـعيد عاشور : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٩١ ص ١٨٨ SETTON , OP. CIT , VOL 1 , P316 (١٩) ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غـزاة بيـت المقـدس ، ترجمة حسين عطية ، الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٨٩

GROUSSET (R) HISTOIRE DE CROISADES ET DU ROYAUME FRANC DE JERISALEME VOLS PARIS 1943 – 1946 , P275
(20) ALBERT D'AIX HISTORIA HIEROSOLY MITANA , ED RHC, OCC , IV PARIS 1879 P 458 , SETTON OP, CIT 1 P 316 , / GROUSSET OP , CIT P275

سعيد عاشور : المرجع السابق ص ١٨٥ ./ أحمد رمضان محمد المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ١٩٧٧ ص ٤٣ , (21) WILLERMI TYRENSIS IN , RHC , ARM LIV 7 CHP 21 , P 310

عصام شبارو : تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين ، دار مصباح الفكر ، بيروت ١٩٨٧ ص ٦٣ ./ يوسف الدبس تاريخ سورية الدنيوي والديني ، المطبعة العمومية بيروت ، ١٨٩٣ ج ٦ ص ٢٩ (٢٢) اسطفان الدويهي : المصدر السابق ، ص٨٧ . (٢٣) مي علـوش : بـيروت ذكـرى وتـاريخ ، دار المستقبل للطباعة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٣ ص ٧٦ . (٢٤) أحمد رمضـــان محمـد : المجتمـع الإسلامي في بلاد الشام ، القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٩ . (٢٥) محمد فرحات : بيروت ودورهـا فـي الصـراع الصليبي الاسلامي ، رسالة دكتوراة غير منشورة الاسكندرية ١٩٩٣ (٢٦) صلاح الدين نوار: تاريخ الشـام السياسي خلال القرن الخامس الهجري رسالة دكتوراة إشراف السيد عبد العزيز سالم وجوزيف نسيم يوسف ، الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٥٣

(27) DE MATTHIEU . EXTRAX DE LA CHRONQUE IN RHC- ARM T1 P 17
(28) WILLERMI TYRENISES IN RMC – ARM CHAPITRE 22 P 311

محمود سعيد عمران : تاريخ الحروب الصليبية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٩٠ ص ٣١

(29) DEBODI HISTORIA DE HIEROSOLYMITANO ITINERE SECOND IMPRESSION 1969 PRENTED IN ISRAEL RHC- OCC 3 P 101 ./ GESTA FRANCORUM , ET ALIORUM HIEROSOLYMITANO IN TUDEBODUS ABBREVIATUS IN RHC- OCC 3 P 158 .
(30) ALBERT D'AIX OP, CIT P 458 – SETTON OP, SET P 331 .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ص ٢٣٩

(31) HEYD. W. HISTOIRE DU COMMERCE DE LEVANT AU MPYEN AGE 2 VOL LEIPZIG OP. CIT 1 P 139 – LEVANT

سعيد عاشور : المرجع نفسه ص ٢٨٥ ./ محمود عمران : المرجع السابق ص ٣٢

(٣٢) ابن الأثير (عز الدين) ت ٦٣٠ هـ ــ ١٢٣٣ م . الكامل في التاريخ . دار صادر بيروت ١٣٩٩ هـ ج ١٠ ص ٣٢٤ . النويري(شهاب الدين أحمد) ت ٧٣٣ هـ ــ نهاية الأرب في فنون الأدب تحقيـق البـاز العريني . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٢ ص ٢٦٠ ./ سعيد عاشور : المرجع نفسه ص ٢٨٣ .

(33) WILLERMI TYRENSIS IN , RHC- OCC V CHAP 10 , P 407
(34) ALBERT D'AIX OP, CIT P 529 ./ FULCHER OF CHARTERES : GESTA FRANCORUM GHERUSLEM PERE GRINANTIUM (CD. H.) HAGEMMEYR) HEIDELBERG. 1913 P136

رنسيمان ج ١ ط. ١٩٦٧ ص ٦٧

(35) WILLERMI TYRENSIS CH 10 VOLV PP 407 408 ./ ALBERT D'AIX OP. CIT PP528 530

محمد محمد مرسي الشيخ عصر الحروب الصليبية في الشرق . الاسكندرية ١٩٩٦ ص ١٥٨

(٣٦) ابن الأثير: المصدر السابق ج ١٠ ص ٣٤٥
(37) STEVENSON . M.A THE CRUSADERES IN THE EAST CAMBRIDGE 1907 .P 45
(٣٨)اسطفان الدويهي ص ٩٣ . (٣٩) فيليب حتي : لبنان في التاريخ . ترجمة انيس فريحة . نشر مؤسسة فرنكلين . بيروت ١٩٥٩ ص ٣٤٩ . (٤٠) ابن الأثير : المصدر السابق ج١٠ ص ٣٦٤ ./ أنظر كتاب دائرة المعارف ج ٥ ص ٧٤٧ . (٤١) ابن الأثير : المصدر نفس STEVENSON OP . CIT P45
(42)) ALBERT D'AIX OP, CIT P 597
(٤٣) محمد محمد مرسي الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها . الطبعة الثانية . الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٦٩ ١٧٠ (44) HEAD OP. CIT PP 139 141./ STEVENSON OP . CIT PP 45 46
محمد الشيخ : عصر الحروب الصليبية ص ٦٦ .(٤٥) ابو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين) ت ٧٣٢ هـ ١٣٣١م . كتاب المختصر في أخبار البشر . دار الفكر . بيروت ج ٤ ص ١٤٣ ./ النويري : المصدر السابق ص ٥٤ .(٤٦) الإمام الحافظ ت ٧٤٨ هـ ١٣٧٤ م : العبر في خبر من غبر . تحقيق صلاح الدين المنجد . الكويت ١٩٦٣ ج ٤ ص ٧
(47) ALBERT D'AIX OP, CIT PP 651 652
في الحرب الصليبية الأولى . الطبعة الثانية .
جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين دار المعارف بمصر الاسكندرية ١٩٦٧ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧

(٤٨) ابن الفرات (ناصر الدين محمد) ت ٨٠٧ هـ ١٤٠٤ م : تاريخ ابن الفرات . تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين. بيروت ١٩٣٩ ج ٨ ص ١٨٩ ./ النويري : المصدر السابق ج ٣٠ ص ٥٤ / محمد كرد علي : خطط الشام . دار العلم والملايين . بيروت ١٩٦٩ ج ١ ص ٢٦٣ .
(49) WILLERMI TYRENSIS OP. CIT. LIV11 CHA. 10 PP 467 – 468 . / HEYD . OP . CIT 1 PP 139 141

(٥٠) اسطفان الدويهي : ص ١٠١ / طنوس الشدياق : كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان . منشورات الجامعة اللبنانية . بيروت ١٩٠٠ ج ٢ ص ٥٠٦ .(٥١) ابن خلدون :(عبد الرحمن) ت ٨٠٨هـ ١٤٠٦ م: كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر ج ٥ ص ١٨٧ـ دار إحياء التراث العربي بيروت /محمود عمران تاريخ الحروب الصليبية ص ٤٢ / فهمي توفيق مقبل : الفاطميون والصليبيون الدار الجامعية . بيروت ١٩٨٠ ص ١٠٣ـ ١٠٤ (٥٢) الجنويون : منسوبون إلى جنوى . وهي مدينة عظيمة، وبلاد كثيرة غربي القسطنطينية على بحر الروم (٥٣) ابن القلانسي : (ابو يعلي حمزة) ت ٥٥٥هـ ١١٦٠ م : ذيل تاريخ دمشق . مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٨ ص ١٦٨ / (ابو الفدا) كتاب المختصر : ج١ ص ١١٣ (٥٤) فيليب حتي :المرجع السابق ص ٣٥
55.) WILLERMI TYRENSIS OP. CIT. LIV 11. CHAP 13 PP 474 – 475

الذهبي : العبر ج ٤ ص ٧ .(٥٦) المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ت ٨٤٥ هـ.١٤٤١ م . إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا . تحقيق جمال الدين الشيال . ط ٢ القاهرة ١٩٩٦ ج ٣ ص ٤٥ / صالح ابن يحيى ص ١٦ / ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن) ت ٨٤٧ هـ. ١٤٦٩ م : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . مطبعة دار الكتاب . القاهرة ١٣٦١ هـ ج ٥ ص ١٧٠ ./ طنوس الشدياق المرجع السابق ج ٢ ص ٥٠٦ / ابن العبري (غريغوريوس الملطي) ت ٦٨٥هـ ـ ١٣٠٩م تاريخ مختصر الدول . دار المسيرة . بيروت ص ١٩٩ . لغت نامة دهخدا مجلد بس.بي. طهران ١٣٣٦هـش ص ٥٠٣./- DE MATTHIEU . D'ESSE , EXTRAITS DE LA CHRONIQUE . IN RHC
(57). ALBERT D'AIX OP,. ARM SEC IMPRESSION , PRINTEDN IN ISRAEL 1969 T 1 P 17 .

CIT P 427 ابن القلاسي : المصدر السابق ص ١٦٧ ١٦٨ يوسف الدبس : تاريخ سورية الدنيوي والديـــي .
المطبعة العمومية بيروت ١٩٠٢ ص ٤٩ / رنسيمان ج ٢ ص ١٤٩ ١٥٠ .(٥٨) ابن القلانسي : (المصدر
السابق ص ١٦٧) / سهيل زكار : الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية لفولتشراون تشـارتر ج ٦
ص ٤٣ / رنسيمان ج٢ ص ١٥٠

(59) WILLERMI TYRENSIS LIV 11 CHAP 13 P 475 (٦٠) اسطفار الدويهي : ص ١٠١ .

(٦١)مي علوش المرجع السابق ص ٩٦ . (٦٢) عصام شبارو المرجع السابق ص ٦٥/

(63) ALBERT D'AIX OP, CIT P 671 ./ (64) STEVENSON OP . CIT P 2 خطط الشـــام ج ١ ص
٢٦٤ / رنسيمان ج ٢ ص ١٥٧ .(٦٥) أرنست باركر : الحروب الصليبية ترجمـــة البـاز العرينـي دار
النهضة العربية . بيروت ١٩٦٧ ص ٤٥ . (66) ALBERT D'AIX OP, CIT PP 675 676 لويـس شـيخو
اليسوعي : بيروت تاريخها وآثارها . منشورات دار المشرق .الطبعة الثالثة بـيروت ١٩٩٣ ص ٧٥ ٧٦

(67) LA MONTE , JOHN LIFE:FEUDAL MONARCHY IN THE LATIN QINGDOM OF JERUSALEM,NEW YORK 1970 P 240 / BEUGNOT (LE CONTE) ASSISES DE JERUSALEM . LE LIVRE AU ROI RHC T I SEC IMPRESSION PARIS 1969 P 634 و يروي متى الرهاوي أنه خلال
هذه الأحداث و تعاون الأرمن مع الصليبيين فيها . لذلك أقطعها بلدوين لهم كي يختاروا حاكما" عليها راجـــع
DE MATTHIEU OP P 17 . (68) WILLERMI TYRENSIS LIV 11 CHAP 25 PP502 503 /سعيـد
عاشور : تاريخ العلاقات ص ٢٧٤ . / يوسف الدبس :المرجـــع الســـابق ج ٦ ص ١٦٩ .(٦٩) ميخـائيل
زابوروف ص ١٣٣- ١٣٧ (٧٠) المرجع نفسه. WILLERMI TYRENSIS LIV 13 CHAP./ 16 P 580/
FULCHER OF CHARTERES OP. CET P 45/ STEVENSON OP. CET P 117 .

(71) STEVENSON OP CIT .P 117/ (72 STEVENSON OP CIT .P 118. (٧٣) رنسيمان : ج ٢ ص ٢٧٩

(74) WILLERMI TYRENSIS LIV 13 CHAP 20 PP 587- 588

(٧٥) محمود عمران : تاريخ الحروب الصليبية ص ٩١ / الدويهي تاريخ الأزمنة ص ٤٠ (٧٦) صـــالح
ابن يحيى ص ٤٠ / WILLERMI TYRENSIS LIV 17 CH 21 P 736 (77) محمد محمد الشـيخ عصـر
الحروب الصليبية ص ٢٧٠ / محمد فرحات المرجع السابق ص ٢١١ ـــ٢١٢

(78) WILLERMI TYRENSIS LIV18 P 887

(٧٩) ابن القلانسي : المصدر السابق ص ٣١٥ / النويري المصدر السابق ج ١ ص ٢٦

(80) WILLERMI TYRENSIS LIV18 CHAP 34 P 888 / سعيد عاشور الحركة الصليبية ج ٢ ص ٦٧٨

(81) WILLERMI TYRENSIS LIV18 CH 34 P 879 / لويس شيخو اليسوعي ص ٧٦

(٨٢) رنسيمان ج ٢ ص ٦١١ (٨٣) صالح ابن يحيى ص ٤٥ / مي علوش : المرجع السابق ٩٩ / عصـــام
شبارو المرجع السابق : ص ٦٩ (٨٤) المقريزي تقي الدين ابو العباس أحمد ت ٨٤٥ هـــ ١٤٤١ م كتـاب
السلوك لمعرفة دول الملوك ط ٢ القاهرة ١٣٦١ هـــ. ج ١ ق١ ص ٦٨

(85) WILLERMI TYRENSIS LIV22 CH 17 P 1096 / الموسوعة الشامية ج ٦ ص ٤٦٥
أسامة زكي زيد: صيدا ودورها في الصراع الاسلامي الصليبي . الهيئة العامة للكتاب .الاسـكندرية ١٩٨١
ص ١٦٢ / اسطفان الدويهي ص ١٨٣ (٨٦) رنسيمان ج ٢ ص ٧٠٠

(87) WILLERMI TYRENSIS LIV 22 CH 17 PP 1096 1097 (٨٨) رنسيمان : المصدر نفسه

(89) WILLERMI TYRENSIS LIV 22 CH 17 PP 1096 1097

(٩٠) ابو شامة المقدسي (شهاب الدين ت ٦٦٥ هـــ ١٢٦٦ م : كتاب الروضتين فـي أخبـار الدولتيـن
النورية والصلاحية. تحقيق محمد حلمي . دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٩٨ ج ٢ ص ٢٩ / أسامة زكـي :

المرجع السابق ص ١٦٥ / STEVENSON P227 (٩١) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٤٨٢ .(٩٢) ابـــو شامة المصدر السابق/ يوسف الدبس تاريخ سورية ص ٩٣ .
(93) ERNOUL . CHRONIQUE D' ERNOULE ET BERVARD LE TRESORIE : ED MASLATAIRE PARIS 1971 . P 129
رنسيمان :ج٢ ص ٧٢٢ (94) EMPEREUR IN RHC – OCC T 2 P 26L'HISTOIRE DE ERACLE
(٩٥) رنسيمان : ج٢ ص ٧٢٦ .(٩٦) ابن الأثير: الكامل ج ١١ ص ٥٣٤ / خطط الشام ج٢ ص ٥٥ (٩٧) رنسيمان : ج٢ ص ٧٤٣ . (٩٨) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والممـــاليك . دار النهضة العربية . بيروت ١٩٧٢ ص ٥٤ (٩٩) ابن كثير : (عماد الدين ابو الفدا) ت ٧٧٤ هـــ. ١٣٧٢ م : البداية والنهاية. دار الكتب العلمية . الطبعة الأولى بيروت ١٤١٥ هـــ. ج ١٢ ص ٢٨٥ / ارنست باركر المرجع السابق ص ١١٧ .(١٠٠) ابن الأثير: الكـــامل ج ١١ ص ٥٤٢ .(١٠١) الأصفـــهاني (العمـــاد الكاتب) ت ٥٩٧ هـــ. ١٢٠١ م : الفتح القسي في الفتح القدسي . تحقيق محمد صبح . الدار القومية .بغـــداد ص ١٠٦ / اسطفان الدويهي ص ١٨٨ . (١٠٢) ابن الأثير الكـــامل ج ١١ ص ٥٤٢ ٥٤٣ / ابـــو الفـــدا المختصر ج ٥ ص ٩٦ / ابن شداد (بهاء الدين) ت ٦٣٢ هـــ. ١٢٣٥ م : النوادر الســـلطانية والمحاســـن اليوسفية .تحقيق جمال الدين الشيال . الطبعة الأولى ١٩٦٤ ص ٨٠ . ابن خلكان (أبو العباس شمس الديـــن أحمد) ت ٦٨١ ١٢٨٢. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان . تحقيق إحسان عباس . دار صادر. بيروت ١٩٦٢ ج ٧ ص ١٧٧ ./ النويري ج ٢٨ ص ٤٠٢ . المقريزي : السلوك ج ١ ق ١ ص ٩٥ .(١٠٣) ابـــن خلدون.العبر ج ٥ ص ٢٩٣. / ابن شداد المصدر نفسه ص ٦٣ / مالكوم كاميرون : صلاح الدين . ترجمة علي ماضي . الأهلية للنشر . بيروت ١٩٨٨ ص ٣١٥ و ٣١٦ . (١٠٤) صالح بن يحيى ص ١٩ و ٢٠ . (١٠٥) أبو شامة : المصدر ESTOIRE DE ERACLES EMPEREUR IN RHC-OCC 2 PP 71, 109 ,110 نفسه ج ٢ ص ٢٠٧ . (١٠٦) حنان قرقوطي : التحصينات العسكرية و الجهاديـــة فـــي بـــيروت . رســـالة ماجستير غير منشورة . كلية الامام الأوزاعي عام ١٩٨٨ ص ٢٣ / أنظر طه الولي : تـــاريخ المســـاجد و الجوامع الشريفة . دار الكتاب . الطبعة الأولى . بـيروت ١٩٧٣ ج ١ ص ١٥ و ١٦ . (107) ERNOUL OP CIT P 294 / SMAIL R .C CRUSADERS IN SYRIA AND HOLY LAND LONDON 1973 P 114 . ESTOIRES DE ERACLE EMP . IN .RHC – OCC P 35 (108). (١٠٩) ابن خلدون : العـــبر ج ٥ ص ٣٢٥ / الفتح القسي ص ٦٨ / أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٢٠٧ . (١١٠) صالح بن يحيـى ص ٤٥ . (١١١) المصدر نفسه ص ٤٦ . (١١٢) أنظر لويس شـــيخو : الـــهامش رقـــم ١ ص ٧٧ .(113) STEVENSON OP CIT P 264. (١١٤) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١١٥ . (١١٥) أبو الفـــدا : المختصر ج ٥ ص ١٠٤ / المقريزي : السلوك ج ١ ق١ ص ١٠٤ / صالح بن يحيـــى ص ٢٠ / محمـــود عمران : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . دار النهضة العربية . بيروت ١٩٨٢ ص ٢١١ / حسن عبـــد الوهاب : قيسرية تحت حكم اللاتين وعلاقاتها السياسية بالمسلمين في الشرق الأدنى . رسالة ماجستير غـــير منشورة . جامعة الاسكندرية ١٩٨٢ ص ١٥٤ ١٥٥ / أسامة زكي : المرجع الســـابق ص ١٨٧ . (١١٦) البطس مفردها بطسة أو بطشة وهي السفينة الكبيرة، العظيمة الحجم تحمل الآلاف وتتـــألف مـــن طبقـــات وأسطح عالية ، وتسير بأكثر من أربعين قلعا" أنظر درويش النخيلي : السفن الإسلامية على حروف المعجم . منشورات جامعة الاسكندرية ١٩٧٤ ص ١٤ وما بعدها . (١١٧) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٦١ (١١٨) الغرارة عبارة عن أكياس كبيرة توضع فيها الحبوب (١١٩) ابن كثير : المصدر السابق ج ١٢ ص ٢٩٨ / سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨٦١ (١٢٠) ابو الفدا المختصـــر ج٥ ص ١٠٩ / ابـــن

شداد النوادر ص ١٥٨ / ابن الأثير : الكامل ج ١٢ ص ١٥٨ (١٢١) ابن شداد المصدر نفسه ص ١٣٥ / سعيد عاشور المرجع نفسه ج ٢ ص ٨٦٥ (١٢٢) ابن شداد المصدر نفسه ص ١٦١ ١٦٢ (١٢٣) الفتح القسي ص ٤٨٦ / ابن الأثير الكامل ج ١٢ ص ٦٥ (١٢٤) ابن شداد المصدر نفسه ص ٢٢٢ / رنسيمان ج ٣ ص ١٣٤ ١٣٥ /(١٢٥) ابو الفدا .المختصر ج٥ ص ١٠٩ / ابن الأثير المصدر نفسه ج ١٢ ص ٨٥ / المقريزي : السلوك ج١ ق١ ص ١١٠ / النويري : نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٣٦ (١٢٦) ابن شداد المصدر نفسه ص ٢٤٦ / ابو الفدا المصدر نفسه ج ٥ ص ١١٠(٢٢٧) ابن شداد المصدر نفسه / ابن الأثير الكامل ج١٢ ص٩٥ (١٢٨) ابن خلدون : العبر ج٥ ص ٣٢٨ (١٢٩) محمود عمران تاريخ أوروبا ص ٢٥٩ ٢٦٠ (١٣٠) نهاية الأرب ج ٢٨ ص ٤٥٣ ٤٥٤ / (131) ESTOIRE DE ERACLES EMPEREUR IN RHC- OCC 2 p 225

ابن العبري المصدر السابق ص ٢٢٥ / ابن الأثير ج ١٢ ص ٢٦ (١٣٢) يوسف الدبس تاريخ سورية ج٦ ص ١٣٦ (١٣٣) أبو الفدا المختصر ج٥ ص ١٢٢ / اسطفان الدويهي ص ١٩٧ (١٣٤) ابو شامة : الروضتين ج٢ ص ٢٣٣ / صالح ابن يحيى ص ٢١ / ابن خلدون المصدر السابق ج٥ ص ٣٢٨ / الشدياق: المرجع السابق ج٢ ص ٥٠٨ (١٣٥) رنسيمان ج٣ ص ١٧٧ (١٣٦) أبو الفدا المختصر ج٦ ص ٨ / ابن الأثير الكامل ج١٢ ص ١٢٧ / الذهبي العبر ج٤ ص ٢٨١ (137) STEVENSON OP CIT P.294

(١٣٨) المقريزي السلوك ج١ ق١ ص ١٤٠ / سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص ٩٢٢ ٩٢٣ / حسن عبد الوهاب حسنين : تاريخ جماعة الفرسان التيوتون . دار المعرفة الجامعية . الاسكندرية ١٩٩٨ ص ١١٧ / محمد فرحات : بيروت ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي . رسالة دكتوراه غير منشورة . الاسكندرية ١٩٩٣ ص ٢٩٤ وما بعدها (١٣٩) صالح ابن يحيى ص ٢٢ (١٤٠) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ٧٥ ٧٦ / المقريزي المصدر نفسه / أنظر يعقوب الفيتري : تاريخ بيت المقدس . ترجمة سعيد البيشاوي . دار الشروق عمان ١٩٩٨ ص ١٧٠ (١٤٠) أبو الفدا المختصر ج٥ ص ١٢٣/ ابن واصل المصدر نفسه ص ٧٨ / رنسيمان ج٣ ص ١٨٠ / محمود عمران الحملة الصليبية الخامسة . الهيئة المصرية للكتاب الإسكندرية ١٩٧٨ هامش ٢ ص ٨٧

(141)) ESTOIRE DE ERACLES EMPEREUR IN RHC-OCC 2 p 228

(١٤٢) المقريزي : السلوك ج١ ق١ ص ١٦٦ / محمود عمران المرجع السابق ص ١٠٠ــ ١٠١

(143) ERNOUL OP. CIT P407

(١٤٤)

(145) ERACLES OP. CIT. P.322 / محمود عمران : الحملة الخامسة ص ١٧٩

(١٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٦٥ / محمود عمران : المرجع السابق ص ٣٤٨

(147) AMADI FRANCESCO CHRONIQUE ED RENE DE MA - LA TRI , PARIS IMPRIMERIE NATIONAL 1891 P 63 (148) LA MONTE OP. CIT P 503

محمد عبد العزيز عزيز : الصراع بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ٦٢٦ــ ٦٤٦هـ ١٢٢٩ ــ١٢٤٨م رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الإسكندرية ١٩٨٨ ص ٨٣ (١٤٩) LES GESTES DE CHIPROIS IN RHC - ARM SECOND IMPRESSION PRINTED IN ISRAEL 1969 T 2 P 678

رنسيمان ج٣ ص٣٢٢ / حسن عبد الوهاب : المرجع السابق ص ١٩٧ (١٥٠) سعيد عاشور: الحركة الصليبية ج٢ ص ١٠١٦ / GROUSSETOP.CIT IIIP320

151) ERACLES OP. CIT P 369 (152)ERACLES OP. CIT P 368 GROUSSETOP.CIT VOL3 P320 (153) LA MONTE JOHN D'IBLIN LORDE OF BEYROUTH 1177 - 1236 BYZANTION , XII , 1937 P426 - 429 I AMADIE OP. CIT.PP 73 - 76 / LES JESTES DES CHIPROIS OP CIT , IN RHC

– ARM SECOND IMPRESSION PRINTED IN ISRAEL 1969 Π P 680 681 /ESTOIRES DE ERACLES EMP IN RHC – OCC Π P 367 محمد عزيز المرجع السابق ص ٨٣
(154) LES JESTES DE CHIPROIS OP. CIT. P 684 (155) ERACLES OP. CIT. P 377 (156) HILL : A HISTORY OF CYPRUS Π PP 100 107 (157) ERACLES OP. CIT. P 386
محمد عزيز : المرجع السابق. ص ١٣٨
(158)CETON A HISTORIE OP. CIT ΠP 547 548 - ERACLES OP. CIT Π 386
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١٠١٩ / محمد عزيز ص ٣٢٤
(159) ERACLES OP. CIT. P 213 /: أرنست باركر المرجع السابق : ص ١١٦
(١٦٠) حسن عبد الوهاب : تاريخ الجماعة ص ٢١٣ (١٦١) رنسيمان ج ٣ ص ١٤٧ (١٦٢) رنسيمان المصدر نفسه / حسن عبد الوهاب. المرجع نفسه ص ٢١٣ـ ٢١٤/426 . ERACLES OP. CIT. P (163) محمد عزيز المرجع السابق ص ٣٠٩ (١٦٤) لويس شيخو ص ٨٣ / كند سطبلا : رتبة عسكرية أعلى من مرتبة الماريشال الذي يليه أنظر (LA MONTE FEIDAL OP. CIT P 138 (١٦٥) المقريزي :السلوك ج١ ق١ ص ٣٠٣ / محمد الشيخ : عصر الحروب الصليبية ص ٤٩٥ وما بعدها (١٦٦) ابن واصل مفرج الكروب ج٥ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨/ محمد عزيز : ألمرجع السابق ص ٣٢٤ (١٦٧) النجوم الزاهرة ج٦ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ (١٦٨) المقريزي : المصدر السابق ص ٣١٧ (١٦٩) ابن واصل : المصدر نفسه ج٥ ص ٣٣٩ / GROUSSET OP. CIT III P 415(170) محمد مرسي الشيخ :عصر الحروب الصليبية .
(171) ESTOIRE DE ERACLES OP. CIT. PP 229 – 230 / GROUSSET OP. CIT420 /
رنسيمان ج٣ ص ٤٤٠ / جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على بلاد الشام . هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة . الطبعة الثالثة . الاسكندرية ١٩٧١ ص ٤٨ـ ٤٩ . .
(172) LES GESTES DES CHIPROIS OP. CIT. P 748 / AMADI OP. CIT. P 198
محمد عزيز : المرجع السابق ص ٣٦٦ (١٧٣) السيد الباز العريني : المماليك . دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٩ ص ٤٩ / ارنست باركر ص ١٢٧ (١٧٤) صبح الأعشي:ج١٤ ص ٤٢ـ ٥١ (١٧٥) ابن الفرات (ناصر الدين محمد): تاريخ الدول والملوك . دار الكتب المصرية. نشر ليون ومالي سميث ج١ ص٥٨ـ ٥٩ / السيد عبد العزيز سالم . دراسة في تاريخ مدينة صيدا. منشورات جامعة بيروت العربية ١٩٧٠ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ GROUSSET L'EMPIRE DE STEPPES . PARIS 1969 P 437 (176) أحمد حطيط : المرجع السابق ص ٣٥ (١٧٧) رنسيمان ج٣ ص ٥٤٤ (١٧٨) العيني (بدر الدين محمود) ت ٨٥٥ ـ ١٤٥١ : عقد الحومان في تاريخ أهل الزمان :أحداث سنة ٦٥٩ هـ. تحقيق محمد أمين. الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٧ ص ٣١٦ / ابن عبد الظاهر محي الدين الروض الظاهر في سيرة الملك الناصر . تحقيق عبد العزيز الخويطر . الطبعة الأولى . الرياض ١٩٧٦ ص ١١٧ وما بعدها (١٧٩) العيني : المصدر نفسه ج١ ص٩ (١٨٠) صبح الأعشى : جزء ١٤ ص ٤٣ (١٨١) تاريخ ابن الفرات ج٧ ص ٣٥ صبح الأعشى : المصدر نفسه / أنظر العبادي وسالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام . منشورات جامعة بيروت العربية ١٩٧٢ ص ٢٩٩ (١٨٢) الروض الظاهر ص ٣٥٨ / رنسيمان ج٣ ص ٥٨٧ / عصام شبارو تاريخ بيروت ص ٨٧ وما بعدها / HILLE OP. CIT. ΠP 13 (١٨٣) أحمد رمضان : المجتمع الاسلامي ص ٣٦ (١٨٤) ابن خلكان ج٤ ص٥٥ (١٨٥) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ص ٢١٣ / النويري نهاية الأرب ج٣١ ص ٧٤ / رنسيمان ج٣ ص ٣٦٥ (١٨٦) محمود عمران : تاريخ الحروب الصليبية ص ٣٣٤ (١٨٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج٢ ص ١١٧٦ ـ ١١٧٧ / حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الفرسان ص٣٢٨ (١٨٨) أحمد حطيط : المرجع السابق ص ٨٤ (١٨٩) ابن عبد الظاهر :

(١٩١) نهاية الأرب ج٣١ ص ١٩٩
المصدر السابق ص ١٧٧ ــ ١٧٨ (١٩٠) ابن خلكان : ج٥ ص ٨٨ / نهاية الأرب ج٣١ ص ١٩٩ (١٩١) تتمة المختصر في
ابو الفدا : المختصر ج٧ ص ٣٢ /ابن الوردي (زيد الدين عمر) تاريخ ابن الوردي . تتمة المختصر في
أخبار البشر تحقيق أحمد البدراوي الطبعة الأولى دار المعرفة بيروت ١٩٧٠ ج٢ ص ٣٣٧ / خطط الشام ج
٢ ص١٢٣ (١٩٢) المقريزي : كتاب السلوك ج١ قسم٣ نشر محمد زيـــادة . القـاهرة ١٩٣٩ ص ٧٦٩ .
(١٩٣) صالح ابن يحيـى ص٢٤ نهايــة الأرب ج٣١ ص ٢١٢ / رنسـيمان ج٣ ص ٧١١ــ LESV١٢
GESTES DE CHIPROIS OP CIT T 2 P 817 (١٩٤) اسطفان الدويهي ص ٣٦٨ ــ ٣٦٩ (١٩٥) سـعيد
عاشور : المرجع السابق ج٢ ص ١١٣٢ / أحمد رمضان : المرجع السابق ص ٢٠٤ (١٩٦) نهايــة الأرب
ج٣١ ص١١٢ أنظر لغت نامة : المصدر السابق ص ٥٠٣ . GROUSSET OP CIT III P 145 .(١٩٧) صالح
بن يحيى: ص٣٥ / والكنيسة التي يذكرها هي التي أسسها بغدوين سنة ١١١٠ م على اسم القديـس يوسـف
المعمدان أنظر فؤاد البستاني : مباحث علمية ج١ ص ٣١٧ (١٩٨) سعيد عاشور: مصر والشام ص ٢٠١ /
محمود عمران : الحملة الخامسة ص ٤٣٦ (١٩٩) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعـة الفرسـان ص ٣٣٥
والداوية : هيئة دينية أسسها فرنسي يدعى هيو دي بانيز في فلسطين.أطلق على أعضائها اسم فرسان المعبد .
أما التيوتون اسسها رجل ألماني في القدس وأعيد تنظيمها عام ١١٩٨ .الاسبتارية أنشأها حـاج مـن مدينـة
آمالفي الإيطالية في القدس بهدف اجتماعي . ثم تحولت إلى هيئة عسكرية على يد ريموند دو بـوى (٢٠٠)
سهيل زكار : الموسوعة الشامية :ج٣ ص ٤٤٦٠ (٢٠١) ارنسـت بـاركر ص ١٣٢ (٢٠٢) أبـو الفـدا
المختصر ج٧ ص ٢٣ / ابن الوردي : تتمة المختصر ج٢ ص ٣٣٧ .
A. S. ATIYA , THE .CRUSADE .IN THE LATER MIDDLE AGES , LONDON 1938 ,29FF /
العيني : عقد الجمان المصدر السابق . أحداث سنة ٦٩٣ طبعة ١٩٩٠ ص ٢٠٨ / جوزيف نسيم يوسـف :
الوحدة وحركات اليقظة العربية ابان العدوان الصليبي . دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨١ ص ٣١ .